

الفضاء الزمني في قصة أصحاب الكهف (دراسة قرآنية)

إعداد

أ. نسرين شحدة المدهون

ماجستير اللغة العربية

بكلية التربية الجامعة الإسلامية

د. صبحي رشيد اليازي

أستاذ مشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين الجامعة الإسلامية

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

ملخص البحث

لقد وقف الباحثان على الإعجاز الزمني وودلالته الكونية والنفسية، في قصة أصحاب الكهف في سورة الكهف، فكل آية من آيات القصة تتضمن وجهاً أو أكثر من أوجه الإعجاز الزمني، بالإضافة إلى أوجه الإعجاز الأخرى والتي إعتاد الباحثون الوقوف عليها، لذا جاء البحث بعنوان:

الفضاء الزمني في قصة أصحاب الكهف (دراسة قرآنية)

وهو يتكون من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

التمهيد: بين يدي سورة الكهف.

المبحث الأول: مفهوم القصة والزمن لغوياً واصطلاحياً.

المبحث الثاني: الإعجاز الزمني الطبيعي الكوني.

المبحث الثالث: الإعجاز الزمني النفسي.

أما الخاتمة: اشتملت على أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

Research Summary

The two scholars have stood on the inimitability of time and its universal and psychological indications in the story of the Companions of the Cave in the Chapter of the Cave. Each verse contains one or more of the inimitability of time aspects, in addition to the other inimitability aspects that the researchers used to stand on. Therefore, the research entitled: The space time in the story of the Companions of the Cave (Quranic study) .

It consists of an introduction, a preliminary topic, three topics and a conclusion.

Preliminary topic: the study of the Chapter of the Cave.

The first topic: the concept of story and time.

The second topic: the universal and natural inimitability of time.

The third topic: the psychological inimitability of time.

The conclusion: included the most important findings of the research.

المقدمة

الحمد لله الذي سبح الكون بحمده، الحمد لله الذي سخر الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخراتٍ بأمره، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ [النحل: ١٢]، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لقد كثرت الأبحاث التي تناولت اللفظ القرآني بالدراسة والبحث، وتنوعت موضوعاتها بتنوع دارسيها، وإنَّ المتعمق في كتاب الله، ودراسته دراسةً واعيةً يوقن كل اليقين أنه يتميز بمنهج علمي تطبيقي يواكب تطور الحياة، واختلاف الزمان، وتبدل المكان، ويعتبر اللفظ القرآني من أهم الوسائل التي استخدمها الإسلام؛ لتغذية العقل البشري وتهذيب النفس، وهو باب من أبواب البيان القرآني، إنَّ دراسة اللفظ القرآني وتحليل بنيته ومعانيه يقود إلى إبراز الإبداع القرآني والإعجاز الزمني، والبحث في هذا الموضوع وخاصةً اللفظ الزمني مازال بحاجة إلى المزيد من الدراسات للوقوف على الثروة البيانية الهائلة الكامنة في اللغة العربية، كما استحل الزمن مكانةً كبيرة لدى العلماء؛ لما له من دلالة واضحة في المسيرة الكونية، وما يعكسه على الحياة البشرية وطبيعتها.

إنَّ الزمن عنصراً أساسياً من عناصر العمل الفني، فإذا كان الأدب يعتبر فناً زمنياً، إذا ما صنفتنا العمل الفني إلى مكاني وزماني، فإن أكثر أنواع الأعمال الفنية التصاقاً بالزمن هو الفن القصصي^(١)؛ لذا فقد جاء البحث موسوماً: (الفضاء الزمني في قصة أصحاب الكهف "دراسة قرآنية").

أولاً: أهداف البحث:

لأشك أن شرف البحث بشرف غايته وموضوعه، والبحث في الإعجاز البياني في ألفاظ القرآن الكريم من أشرف الموضوعات، وأسمى الغايات، فما أحوجنا إلى أن نمنع جيداً في اللفظ القرآني، ونتدبر معانيه لنسموأ بأخلاقنا ونرتقي بفكرنا.

ثانياً: سبب اختيار البحث:

إنَّ هذا البحث يسلط الضوء على الإعجاز البياني فيما يخص الزمن في القصص القرآني، من خلال قصة أصحاب الكهف؛ لما تتميز به من إحياءات ومفارقات زمنية كونية

(١) انظر: بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، ص ٣٧.

ونفسية، مما يثير في النفس العديد من التساؤلات، ومع كونها سورة مكية إلا أنها جاءت مختلفة عن غيرها من السور المكية التي تحمل طابع الإنذار والتهديد، كيف لا وهي تتناول قصة فتية في ريعان الشباب زهدوا في الحياة ورغد العيش، وفروا بدينهم إلى غيابات المجهول، متخذين من الكهف مأوى لهم لا يملكون سوى النقوى والثقة بالله الواحد الأحد، بأسلوبٍ ممتع ملؤه الأنس للرسول ﷺ خاصة، وللبشرية عامة حاملة في طياتها القدوة والثبات على الحق، والصبر على الهجران حفاظاً على العقيدة والدين.

ثالثاً: منهج البحث :

المنهج المتبع في البحث هو المنهج التحليلي للزمن في قصة أصحاب الكهف؛ للكشف عن قيمته الفنية، وأبعاده والدلالات التي تمخضت عنه، وذلك باتباع المنهج الموضوعي للتفسير.

رابعاً: خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وهو على النحو الآتي:
المقدمة: تتحدث عن أهمية البحث، وأهدافه، ومنهج البحث.

التمهيد: بين يدي سورة الكهف.

المبحث الأول: مفهوم القصة والزمن لغة واصطلاحاً، يتكون من مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم القصة أنواعها منهجها... وأهم خصائصها.

المطلب الثاني: مفهوم الزمن.

المبحث الثاني: الإعجاز الزمني الطبيعي [الكوني]، يتكون من مطلبين:

المطلب الأول: الزمن الطبيعي الكوني في الدراسات الأدبية

المطلب الثاني: دراسة تطبيقية على الزمن الطبيعي الكوني في قصة أصحاب الكهف.

المبحث الثالث: الإعجاز الزمني النفسي، يتكون من مطلبين:

المطلب الأول: الزمن النفسي في الدراسات الأدبية.

المطلب الثاني: دراسة تطبيقية على الزمن النفسي في قصة أصحاب الكهف.

الخاتمة: اشتملت على أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

التمهيد:**بين يدي سورة الكهف**

سورة الكهف من السور المكية، وهي إحدى سور خمس بدأت بـ " الحمد لله " وهذه السور هي: " الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر " كلها تبتدئ بتمجيد الله جل وعلا وتقديسه، والاعتراف له بالعظمة والكبرياء، والجلال والكمال^(١).

المطلب الأول**أسماء سورة "الكهف" وفضلها****أولاً: أسماء سورة الكهف:**

١- تسمى سورة الكهف بعدة أسماء وهي:

الاسم الأول: سورة الكهف.

قال مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ بْنُ عَثُورٍ: "سَمَّاها رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم سورة الكهف"^(٢).
عن أبي الدرداء عن النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم قال: "من حفظ عشر آياتٍ من أول سورة الكهف عصم من الدجال"، وفي روايةٍ لمسلم: "من آخر الكهف، عصم من فتنة الدجال"^(٣).

وكذلك وردت تسميتها عن البراء بن عازبٍ ؓ في «صحيح البخاري». قال: (كان رجلٌ يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصانٌ مربوطٌ بشطنتين فتعشته سحابةٌ فجعلت تدنو، وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم فذكر ذلك له، فقال: (تلك السكينة تنزلت بالقرآن)^(٤).

الاسم الثاني: سورة "أصحاب الكهف" - "أهل الكهف".

وفي حديثٍ أخرجه ابن مردويه عن النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم أنه سماها (سورة أصحاب الكهف)^(٥).

(١) انظر: تفسير السور الكريمة (سورة الكهف ومريم ويس)، محمد على الصابوني، ص: ٩.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٤١/١٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، ح(٢٥٧)، ١٩٩/٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، ١٠٤/٦.

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٤١/١٥.

الاسم الثالث: السورة التي يذكر فيها الكهف.

قال أبو بكر محمد بن القاسم بن بشر ابن الأنباري: (السورة التي يذكر فيها الكهف)^(١).

الاسم الرابع: الحائلة.

قال جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: (وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: سورة الكهف تدعى في التوراة الحائلة تحول بين قارئها وبين النار)^(٢).

٢- وجه التسمية لهذه الأسماء:

سميت سورة الكهف لما فيها من المعجزة الربانية، في تلك القصة العجيبة الغريبة قصة أصحاب الكهف^(٣).

وهي تتحدث عن شباب مؤمن كانوا يعيشون في بلدة كافرة فعزموا على الهجرة والفرار بدينهم بعد مواجهة بينهم وبين قومهم فكافأهم الله برحمة الكهف ورعاية الشمس فاستيقظوا فوجدوا القرية مؤمنة بكاملها.

ثانياً: فضل سورة الكهف:

وردت في سنة النبي -عليه الصلاة والسلام- أحاديث عن فضل سورة الكهف وآياتها، ومنها:

١- إن في حفظ أول عشر آيات منها عصمة من الدجال، كما روى أبو الدرداء ؓ أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: "مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ"^(٤).

٢- إن في قراءة سورة الكهف سكبنة تنزل على من يقرؤها، ومن ذلك ما رواه البراء بن عازب ؓ: "قَرَأَ رَجُلٌ الْكَهْفَ، وَفِي الدَّارِ دَابَّةٌ فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ، فَنَظَرَ فَإِذَا ضَبَابَةٌ، أَوْ سَحَابَةٌ قَدْ عَشِيَتْهُ، قَالَ: فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: اقْرَأْ فُأَنُ، فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ تَنْزَلَتْ عِنْدَ الْقُرْآنِ، أَوْ تَنْزَلَتْ لِلْقُرْآنِ"^(٥).

(١) إيضاح الوقف والابتداء، ٢/٧٥٦.

(٢) الدر المنثور، للسيوطي، ٩/٤٧٨.

(٣) انظر: تفسير السور الكريمة (سورة الكهف ومريم ويس)، محمد علي الصابوني، ص: ١٠.

(٤) رواه مسلم، في الجامع الصحيح، عن أبي الدرداء، ح(٨٠٩)، ١/٥٥٥.

(٥) رواه مسلم، في الجامع الصحيح، عن البراء بن عازب، ح(٧٩٥)، ١/٥٤٨.

٣- إنَّ من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أُنار اللهُ تعالى له ما بين جمعتيه، كما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله -عليه الصلّاة والسلام- قال: (إِنَّ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ)^(١).

المطلب الثاني

عدد آياتها وتحديد زمان ومكان نزول السورة

أولاً: عدد آياتها:

عدد آياتها مائة وعشرة آيات عند الكوفيين، ومائة وإحدى عشرة آية عند البصريين، ومائة وست آيات عند الشاميين، ومائة وخمس آيات عند الحجازيين^(٢)، وهذا الاختلاف جاء على حسب ما ثبت لدى القراء في كل بلد عن طريق النقل في وقفات الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: تحديد زمان ومكان نزول السورة:

فالسورة مكية بالاتفاق، ترتبها الثامنة عشرة، نزلت بعد سورة "الغاشية"^(٣)، وعدد آياتها مائة وعشر عند الكوفيين، وكلماتها ألف وخمسمائة وتسع وسبعون، وحروفها ستة آلاف وثلاثمائة وست^(٤).

فإن سورة الكهف نزلت قبل الهجرة إلى المدينة بمكة المكرمة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، ويرى بعض الباحثين أنها نزلت قبل الهجرة الأولى إلى الحبشة، وعليه يكون نزولها في السنة الخامسة للبعثة، بعد اشتداد اضطهاد المشركين للصحابة الذي بدأ أواسط السنة الرابعة للبعثة^(٥).

قال ابن عاشور: "هي سورة مكيّة على الصّحيح من أقوال علماء التّفسير، نزلت على النّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بعد سورة الغاشية وقبل سورة الشّورى، وهي السّورة الثّامنة والسّتون في

(١) رواه الحاكم النيسابوري، في المستدرک علی الصحیحین، عن أبي سعيد الخدري، ح (٣٣٩٢)، ٣٩٩/٢.

(٢) انظر: (روح المعاني، للأوسى، ١٩٩/١٥. التحرير والتنوير: ٢٤٢/١٥).

(٣) انظر: تفسير الجلالين، ص: ١٥٥.

(٤) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد عبد الحميد كشك، ٢٢٢٦/٣.

(٥) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ص: ٢٤١/١٥ (بتصرف).

ترتيب نزول سور القرآن الكريم على الرسول -عليه الصلاة والسلام-، والسورة الثامنة عشرة في ترتيب المصحف الشريف، وموقعها في الجزء السادس عشر والحزبين الثلاثين والواحد والثلاثين، وهي إحدى السور الخمسة التي بدأت بالحمد، بالإضافة إلى سورة الفاتحة، والأنعام، وسبأ، وفاطر. وسورة الكهف واحدة من السور التي نزلت جملةً واحدة^(١).

المطلب الثالث

محور سورة الكهف والجو الذي نزلت فيه، وسبب نزولها

أولاً: محور سورة الكهف.

أما المحور الموضوعي للسورة الذي ترتبط به موضوعاتها، ويدور حوله سياقها، فهو تصحيح العقيدة وتصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة^(٢). كما تحمل هذه السورة من الإيحاءات المتنوعة ما يبرز بوضوح حركة الفكرة التوحيدية، سواء على مستوى العقيدة أو على مستوى الحياة، أو على خط التربية الروحية والعملية للإنسان، في ما يريد الله أن يثبته من خلال النظرة، أو من خلال أحداث القصة.

ثانياً: الجو الذي نزلت فيه.

في وقت الفتنة وعدم القدرة على عدم إحقاق الحق تبرز قصة أصحاب الكهف " لتعرض لنا نموذجاً للإيمان الصافي في النفوس المؤمنة كيف تطمئن به، تؤثره على زينة الأرض ومتاعها، وتلجأ به إلى الكهف حيث يعز عليها أن تعيش به مع الناس، وكيف يرضى الله هذه النفوس المؤمنة، ويقبها الفتنة، ويشملها بالرحمة، الكهف حدثت آيات ومعجزات"^(٣).

ثالثاً: سبب نزول سورة الكهف.

إن سبب نزول سورة الكهف ذكره عدة مفسرين كابن كثير وغيره: فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ص: ٢٤٢/١٥.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢٢٥٩/٤.

(٣) قصص القرآن دروس وعبر، سعد يوسف أبو عزيز، ص: ٣٦٥.

بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجنا حتى قدما المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالوا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال، فقالت لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن، فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل، فالرجل منقول، فروا فيه رأيكم. سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، فإنهم قد كان لهم شأن عجيب. وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك، فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فإنه رجل منقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم، فأقبل النصر وعقبة حتى قدما على قريش، فقالوا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور، فأخبروهم بها، فجاجعوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمرهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: أخبركم غدا عما سألتم عنه ولم يستثن، فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبريل عليه الصلاة والسلام، حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة، وقد أصبحنا فيها ولا يخبرنا بشيء عما سألناه، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عليه الصلاة والسلام من الله ﷻ بسورة الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف، وقول الله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٣]^(١).

(١) تفسير الجلالين، ص: ٢٢٢-٢٢٣.

المبحث الثاني

مفهوم القصة والزمن لغة واصطلاحاً

المطلب الأول

مفهوم القصة أنواعها منهجها... وأهم خصائصها

أولاً: القصة لغةً واصطلاحاً.

١ - القصة في قواميس اللغة:

ورد لفظ قصة في لسان العرب في مادة قصص، "قص آثارهم يقصصها قصاً، وقصصاً، وتقصصها، تتبعها بالليل، وجاءت بعدة معان منها:—

أ- تتبع الأثر في أي وقت كان: قال تعالى: ﴿فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، وقال ﷺ: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١] وكذلك اقتص أثره، وتقصص^(١).

ب- ويأتي قص بمعنى الإخبار والإنباء^(٢): قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الكهف: ١٣] وهو القصص، وقص علي خبره يقصه قصاً، وقصصاً: أورده، والقصص: الخبر المقصوص، والقصص بكسر القاف: جمع القصص التي تُكتب^(٣). وفي موضع آخر "القصص بالفتح: اسم، والقاص: الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها"^(٤).

٢ - القصة في الأدب:

لا تخلو ثقافة من الثقافات البائدة أو الباقية من القصة، فهي إحدى مكونات الحياة الإنسانية، وأكثرها ارتباطاً بالإنسان؛ لذا نجد أن الإنسان قد لجأ إليها إما للتسلية، أو للتربية، ووجد فيها قناة من قنوات التأثير، فأصبحت إحدى وسائل الإقناع والتأثير، وقد حاول الكثير من النقاد والباحثين وضع تعريف أدبي.

(١) لسان العرب ابن منظور، مادة قصص ١١/١٩٨-١٩٩ وانظر المفردات الأصفهاني، ص ٦٧١ ومقاييس

اللغة الفارسي، ١١/٥.

(٢) انظر المعجم الوسيط - ٢/٧٤٦.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١١/١٩٨-١٩٩، والكليات، العكبري، ص ٧٣٤.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ١١/١٩٨-١٩٩.

- أ- فقال إيميل يعقوب في المعجم المفصل في اللغة والأدب: "لم تستقر القصة في الاصطلاح الأدبي على مفهوم محدد، فهي تستعمل لدلالة على الفن القصصي بصورة عامة، وأحياناً تستخدم لدلالة على نوع من الفن القصصي لا يطول إلى حد الرواية، ولا يقصر ليصل إلى حد الأقصوة"^(١).
- ب- وأكد طاهر حجار على صعوبة إعطاء تحديد شامل للقصة فقال: "من الصعب أن نعطي تحديداً شاملاً للقصة بحيث نفهم كل إمكانات هذا النوع الأدبي الذي لم يثبت بعد، ما هو الفرق بين الرواية والقصة، والقصة القصير..."^(٢).
- ت- قال محمد نجم في كتابه فن القصة: "القصة مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، وهي تتناول حادثة واحدة أو عدة حوادث، تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرفاتها في الحياة، على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض، ويكون نصيبها في القصة متفاوتاً من حيث التأثير والتأثر"^(٣). ويقول في موضع آخر أنها: "هي حوادث يخرعها الخيال وهي لا تعرض لنا الواقع كما تعرضه كتب التاريخ والسير، وإنما تبسط أمامنا صورة موهومة منه"^(٤).
- ث- محمد خلف الله فقد قال: "حين نذكر القصة إنما نقصد شيئاً آخر أهم من متابعة الخبر أو الحديث، نقصد ذلك العمل الأدبي الذي يكون نتيجة تخيل القاص لحوادث وقعت من بطل لا وجود له أو لبطل له وجود ولكن الأحداث التي دارت حوله القصة لم تقع أو وقعت للبطل ولكنها نظمت في القصة على أساس فني بلاغي فقدم بعضها وأخر آخر، وذكر بعضها وحذف آخر، أو أضيف إلى الواقع وبلغ في التصوير إلى الحد الذي يخرج الشخصية التاريخية عن أن تكون من الحقائق العادية المألوفة ويجعلها من الأشخاص الخياليين"^(٥).
- وخلص ما قيل في مفهوم القصة في الاصطلاح الأدبي: فلم يقف النقاد والدارسون على تحديد ولم يتفقوا على مفهوم اصطلاحي للقصة الأدبية؛ ذلك لاختلاف

(١) المعجم المفصل في اللغة والأدب، إيميل يعقوب، ص ٩٨٠-٩٨١.

(٢) الأدب والأنواع الأدبية، طاهر حجار، ص ٩٩.

(٣) فن القصة، محمد نجم، ص ٧.

(٤) فن القصة، محمد نجم، ص ٨.

(٥) الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد خلف الله، ١٥٢.

النظريات الأدبية ونظرتها للقصة ومفهومها، واختلاف طولها وقصرها، وعدد صفحاتها والمدة الزمنية لقراءتها، وغير ذلك من الأسباب.

٣- القصة القرآنية اصطلاحاً:

أما القصة اصطلاحاً فإننا نلاحظ تراكم توصيفي للقصة القرآنية، ومن أهم ما قيل في تعريفها:

أ- ما أورده سيد قطب في التصوير الفني للقرآن الكريم حيث قال: "القصة في القرآن ليست عملاً فنياً مستقلاً بموضع وطرق عرضه وإرادة حوادثه كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة التي ترمي إلى أداء غرضي فني طليق، بل هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية"^(١).

فالقصة ترسم لنا مشهداً كاملاً، وتبرز فيه الحركات الظاهرة والانفعالات المضمرة، وتلتقي فيه الصورة الحسية بالصورة النفسية، وكأنما الحادث معروض من جديد دون أن يغفل فيه قليل أو كثير^(٢).

وتختلف القصة القرآنية عن الفنية في كونها تخاطب الحس الوجداني الديني بلغةً جماليةً فنيةً^(٣).

ب- أما عبد الكريم الخطيب فقد عرف القصة القرآنية بقوله: "إن لفظ القص أنسب لفظ يُطلق على تلك الأنباء التي عرضها القرآن، إذ إنَّ ذلك أشبه بقص أثر الشيء، وتتبعه، ثم الوقوف عليه بذاته، لا على صورته، أو ما يشبه صورته"^(٤).

ت- وقال في موضع آخر: "إنَّ الاشتقاق اللغوي للقصة أو القصص: هو كشف عن أحداثٍ نسيها الناس، أو غفلوها، وغاية ما يُراد بهذا الكشف: هو إعادة عرضها من جديد؛ لتذكير الناس بها، وإفاتهم إليها لتكون لهم عبرة وموعظة"^(٥).

ث- وقال أيضاً: "القصص القرآني كله عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمن، فهو وثيقة تاريخية من أوثق ما بين يدي التاريخ من وثائق، فيما جاء بها من أشخاص

(١) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص ١٤٣.

(٢) انظر: نفس المرجع السابق، ص ٥٠.

(٣) المرجع السابق، ص ١٤٤ بتصرف.

(٤) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، الخطيب، ص ٤٩.

(٥) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، الخطيب، ص ٤٨.

وأحداث، وما يتصل بالأشخاص والأحداث من أمكنة وأزمنة... هكذا أطلق القرآن لفظ القصص على ما حدث به من أخبار القرون الأولى في مجالات الرسائل السماوية، وما يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال، وبين مواكب النور وجحافل الظلام^(١).

وقصص القرآن كما عرفها مناع القطان: "أخباره وأحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم بصورة ناطقة لما كانوا عليه"^(٢). "الأخبار عن قضية ذات مراحل يتبع بعضها بعضاً"^(٣).

ج- وعرفها فضل حسن عباس قائلاً بأنها: "قصة هادفة، فهي ليست حلية للنص القرآني، أو ترفاً فنياً أو تأريخاً لمجرد التاريخ أو سرداً لمجرد التسلية والمتعة الفنية، وهي وإن كانت ذات خصائص فنية راقية وتأثير فذ في المتلقي فإنها صدق لا خيال فيه وحق لا ريب فيه،... غير أن للقصة تأثيراً نفسياً ووجدانياً ذا طابع خاص لما فيها من عرض حي للفكرة والغرض مجسم في أشخاص يتحركون ويتكلمون ويتحاورون، وفي أحداث تثبت فيها الحياة، فتعرض أمام المتلقي كما لو كانت ماثلة أمامه وإن كانت لأقوام مضوا"^(٤).

ح- كما تناول تهامي نقرة القصة القرآنية واصفاً إياها بأنها: "سلاح نفسي في الدعوة المحمدية إلى عقيدة التوحيد، وفي إقناع المخالفين عن طريق الجدل والحوار بسمو هذه العقيدة، ونبيل أهدافها"^(٥).

خ- **التعريف الشامل للقصص القرآني:** "هو عبارة عن الأخبار التي تتحدث عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة في حياة السلف الصالح وقد تحدث القرآن الكريم عن كثير من وقائع الأمم الماضية في الأزمنة الغابرة وتتبع

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، الخطيب، ص ٣٩-٤٠.

(٢) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٣٠٠.

(٣) أصول في التفسير، ابن عثيمين، ص ٥٠.

(٤) قصص القرآن الكريم، فضل عباس، ص ٤٣.

(٥) سيكولوجية القصة في القرآن، تهامي نقرة، ص ٢٥.

أثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه قال تعالى: ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

ونخلص مما سبق أنّ القصة القرآنية ما هي إلا معجزة إلهية لعرض الأحداث الماضية لا على سبيل المحاكاة، ولا على سبيل المشاهد والشخص، وإنما هو عبارة عن الوقوف على العبر والمواعظ، بالإضافة إلى تسلية الرسول ﷺ، وتثبيت فؤاده، مع بعده عن الخيال؛ لأن القرآن صدق كله، وذلك أنه واسطة تبليغية للوحي السماوي لتجديد العقيدة، وترسيخ نظام حياة متكاملة، وتغيير ما في النفس البشرية من جهالة وعبودية لغير الله. فالقصة القرآنية بعيدة عن التاريخ وسرد الوقائع على الرغم من اعتمادها على أحداث تاريخية، بل هي تسلط الضوء على مواقف كامنة في عمق الزمن؛ لتحقيق الغاية منه. إذاً فالقصة القرآنية عبارة عن أسلوب من أساليب التعبير القرآني، إلا أنه أسلوب تميز بدقة العرض وروعة البيان، والإعجاز البياني الذي لا تخلو منه آية أو قصة قرآنية.

ثانياً: أنواع القصص القرآني:

القصص القرآني ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء يتضمن دعوتهم إلى قومهم والمعجزات التي أيدهم الله تعالى بها وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذابين - أمثال قصة نوح وإبراهيم وهارون وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين - وغيرهم من الأنبياء والمرسلين من أقوامهم.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة وأشخاص لم تثبت نبوتهم كقصة الفيل وأصحاب الجنة.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران والأنفال وغزوة حنين وتبوك في سورة التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب وحادثة الإسراء والمعراج في سورة الإسراء^(١).

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص: ٣٠٦.

ثالثاً: منهج القصة في القرآن وخصائصها:

تمتاز القصة القرآنية بمنهج وخصائص تختلف عن القصص الفني الطليق من جوانب متعددة، سنوضحها من خلال الآتي:

١- منهج القصة القرآنية:

يقوم منهج القصة في القرآن الكريم على الآتي:

أ- التكرار: إذا نظرنا في القرآن نجد أن القصة الواحدة تكررت مرات عديدة مثل قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل أو قصة نوح عليه السلام مع قومه، أو قصة خلق آدم، لكن هذا التكرار لا يعني بالضرورة التطابق في المضمون والتفصيلات (الأحداث)، فقد يكون تقديم وتأخير أو إيجاز وإطناب، فكل قصة لها إطارها الخاص بها حسب موقعها في السورة يختلف تماماً عن الموقع الآخر التي ذكرت فيه حسب ما يقتضيه الحال بنمط وأسلوب يجذب القارئ ويُشعره بجديد يطرد السآمة والملل وهذا ما امتاز به الأسلوب القرآني عن الأساليب الأخرى^(١).

ب- الإقتصار في حوادث القصة على الغرض الديني: القصة القرآنية لم تسرد حوادث القصة ووقائعها سرداً تاريخياً ولم تتطرق إلى الجزئيات فيها خوفاً من الإطالة والابتعاد عن مغزى وهدف القصة الديني ومثال ذلك ما قصه علينا القرآن الكريم في سورة الكهف عن الفتية الذين آمنوا بالله رباً وفروا من الكفر، فلم يذكر القرآن أسماء هؤلاء الفتية ولا البلد التي كانوا فيها ولا عددهم ولا نوع العملة التي كانوا يتعاملون بها، إلى غير ذلك من الجزئيات التي لا يضر الجهل بها ولا يفيد العلم بها. وإنما يكتفي ببيان العبرة والغرض الديني وهو تحقيق الهداية في حياة الناس.

ت- التزام الصدق وبيان الحق في عرض أحداث القصة: القصص القرآني ليس من نسيج الخيال بل هو من الواقع الذي يحياه الناس فهو من لدن حكيم عليم خبير بحياة الناس، لذلك فهو قصص لأحداث تاريخية موافقة للواقع الذي عاشه الناس بصورة بديعة من الألفاظ المنتقاة والأساليب الرائعة التي تُتمّي ملكة الضمير عند القارئ للقرآن الكريم.

(١) انظر علوم القرآن، د. عدنان زرور، ص: ٣٨٢.

ث- العبر والعظات والنصائح بين ثنايا القصة: يفصل القرآن الكريم بين أجزاء القصة بفواصل من العبر والعظات تنبه القارئ إلى الهدف المنشود من وراء هذه المباحث ومن ثم تربط على قلب الإنسان برباط الخشية والمراقبة الإلهية، فتنمو ملكة الضمير وبالتالي تصلح أعمال الإنسان في هذه الحياة.

ومن أجل ذلك لم نجد في القرآن فصولاً خاصة بالتشريع وأخرى خاصة بالحديث عن علم الغيب كالجنة والنار أو ما يتعلق بعلم الساعة وعالم الملائكة أو العوالم الأخرى.

٢- خصائص القصة القرآنية:

أوضحنا أن للقصة منهجاً خاصاً بها، فمن الطبيعي أن يكون لها خصائص تمتاز بها عن سائر القصص الأخرى، ولقد أوضح سيد قطب هذه الخصائص في كتابه "التصوير الفني في القرآن"^(١) نلخصها في الآتي:

أ- **العرض التصويري:** الأسلوب القرآني في طرحه للقصة لا يطرحها بمجرد ذكر للإخبار عن أحداثها، ولكنه يصور هذه الأحداث وكأنها أشخاص مفعمة بالحياة تتطبع في ذاكرة القارئ أو شريط حي يرتسم على مخيلة السامع أو القارئ بريشة التصوير المبدعة التي تجعل من القصة حدثاً يقع ومشهداً يجري لا قصة تروى ولا أحداثاً قد مضت عبر التاريخ.

ب- **التنوع في الاستهلال بالقصة:** لقد اختلفت الاستهلالات بين قصة وأخرى في القرآن الكريم وذلك لشد انتباه القارئ فقد تبدأ القصة بالأمر كقوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٦٩-٧٠]، وقوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ [المائدة: ٢٧]، وأحياناً بالسؤال كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [النازعات: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦]، وتارة أخرى تبدأ بالتقرير والإتيان بصيغة الماضي كقوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: ٣٦].

(١) انظر التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص: ١٤٨-١٥٥.

- ت- التنوع في طريقة المفاجأة: يتضح الأسلوب القرآني البديع من خلال تنويعه للطريقة التي يطرح فيها المفاجأة في القصة حيث تأخذ الأشكال التالية:
- يكتف سر المفاجأة عن شخصيات القصة وعن القارئ وفي مرحلة متأخرة من القصة يكشف لهم عن سر المفاجأة كما حدث في سورة الكهف أثناء عرضه لقصة موسى مع الخضر عليهما السلام.
 - أحياناً يكشف بعض السر في القصة الواحدة، وخير مثال على ذلك عرش بلقيس الذي جاء به فيغمضة عين ثم إسلام بلقيس في نهاية المطاف بعد أن رأت صرحاً ممرداً من قوارير فجاء قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].
 - ومرة أخرى يكشف السر في مطلع القصة ومنذ اللحظة الأولى وخير مثال على ذلك قصة أصحاب الجنة في سورة القلم: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاكُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُّصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَشُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠)﴾ [القلم: ١٧-٢٠].
- ث- تنوع طريقة العرض: نشاهد في القرآن الكريم أربع طرائق مختلفة للابتداء في عرض القصة وهي كالاتي:
- أحياناً يذكر ملخصاً للقصة في بدايتها ثم يعرض التفاصيل مثل قصة أصحاب الكهف قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكُهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩] يبدأ بتسلسل الحديث عن أحداث القصة.
 - ومرة أخرى يذكر الهدف والمغزى من القصة ثم يبدأ بالقصة من أولها إلى نهايتها وخير مثال على ذلك قصة يوسف عليه السلام التي بدأها بالرؤيا ثم أخذ بالتفصيل عن أحداث القصة.
 - وأحياناً يذكر القصة مباشرة بدون مقدمة أو تلخيص ويكون في مفاجأتها الخاصة ما يُغني عن تلك المقدمات كما جاء في قصة مريم ومولد ابنها عيسى عليه السلام، ومثل قصة سليمان عليه السلام وحديثه مع النمل والهدد وبلقيس.
 - ومرة أخرى يجعل القصة على شكل تمثيلية مثل قصة إبراهيم وحواره مع قومه عند تكسيره للأصنام وحواره مع ولده إسماعيل عندما أمر بذبحه ثم تعاونهما في وضع القواعد للكعبة المشرفة.

المطلب الثاني

مفهوم الزمن لغةً واصطلاحاً

أولاً: الزمن لغةً:

"الزء، والميم، والنون أصل واحد يدل على وقتٍ من الوقت، من ذلك الزمان، وهو الحين، قليله، وكثيره، يقال: زمانٌ زمن، والجمع أزمانٌ وأزمنة"^(١).
 "زمن: الزمن والزمان: اسم لقليل الوقت وكثيره، وفي المحكم الزمن والزمان: العصر، والجمع: أزمان وأزمان وأزمنة، وزمنٌ زامن: الشديد، وأزمن الشيء: طال عليه الزمان، والاسم من ذلك الزمن والزمنة... أزمان بالمكان: أقام به زماناً، الزمان: زمان الرطب والفاكهة، وزمان الحر والبرد، قال: يكون الزمان شهرين إلى ستة أشهر، ويقع على الفصل من فصول السنة وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبه"^(٢).

ثانياً: الزمن اصطلاحاً عند الأدب:

إنّ دراسة الزمن في الأدب كعنصرٍ مستقل عن عناصر العمل الفني لا يمكن أن يتم إلا على سبيل الدراسة والتحليل؛ ذلك أنّ عناصر العمل الفني كلّ متكامل ضمن سلسلة منطقية، كل عنصرٍ فيه سواءً أكان قصةً أم كان روايةً أم كان مسرحاً يكمل ويبرز العنصر الآخر، فمثلاً إنّ دراسة الزمن لا يتم بمعزلٍ عن الشخصيات أو بمعزلٍ عن الصراع أو المكان، مما يستدعي حبكة ترتبط بزمان هذه العناصر، وصولاً إلى عملٍ فنيٍّ كلّ متكاملٍ حي ينبض بجميع عناصره.

وخير شاهدٍ على أهمية الزمن قول عز الدين إسماعيل: "فكل حادثة لا بد أن تقع في زمانٍ معين، وهي لذلك ترتبط بظروف وعادات ومبادئ خاصة بالزمان والمكان، وهذا أمرٌ ضروريٌ لحيوية القصة؛ لأنه يمثل البطانة النفسية للقصة، ويساعد على فهم الحالة النفسية للقصة أو الشخصية"^(٣).

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة زمن، ص ٢٢/٣.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ص ٩٣/٦.

(٣) الأدب وفنونه، عز الدين إسماعيل، ص ١٠٨-١٠٩.

ومعلوم أنّ الزمن يلعب دوراً مهماً في العمل الفني؛ ذلك أنه يصبغ على الحدث بصبغة خاصة فهو يشير للوقت والذي وقع فيه الحدث وتضفي على الجو العام للعمل الفني ظلالاً دلاليةً وفي ذلك يقول الطراونة: "إنّ انفلات أحداث القصة الأدبية من الزمانية يجعلها خالية من الترابط الداخلي ماعدا القصص الرمزي والنفسي المحكوم بزمانية خاصة؛ لذا فالقصة المحكمة السبك تمسك الخيوط الزمنية بكل أطرافها، ولا سيما القصص الواقعية التي تتفاعل مع بشر يوهموننا بالواقع، وليس مع رموز تنفلت من قيود الواقع الثقيلة وأزمانه المترابطة"^(١).

ويعتبر الزمان في العمل الفني المحور الرئيس في تشكيل النص الروائي، "يحدد إلى حدٍ بعيدٍ طبيعة الرواية وتشكلها، بل إنّ شكل الرواية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعالجة عنصر الزمن"^(٢).

"ليس للزمن وجود مستقل نستطيع أن نستخرجه من النص مثل الشخصية أو الأشياء التي تشغل المكان أو مظاهر الطبيعة، فالزمن يتخلل الرواية كلها ولا نستطيع أن ندرسه دراسةً تجزيئيةً، فهو الهيكل الذي تشيد فوقه الرواية، ومن هنا تأتي أهميته عنصراً بنائياً، حيث إنه يؤثر في العناصر الأخرى وينعكس عليها، فالزمن حقيقة مجردة سائلة لا تظهر إلا من خلال مفعولها على العناصر الأخرى، الزمن هو القصة وهي تتشكل وهو الإيقاع"^(٣).

وللزمن أهمية كبيرة؛ لذا نجد أنّ الإنسان منذ القدم يحاول إدراك كنهه بغية التحكم فيه، والسيطرة عليه، والاستفادة منه في مجالات الحياة اليومية، ولقد أكد العديد من الباحثين على أهمية الزمن في العمل الفني، وهذا ما أكد عليه بعض الباحثين أمثال فوستر الذي قال تحدث عن أهمية الزمن منتقداً جرتروودشتاين: "لقد كانت تأمل أن تخلص القصص من طغيان الزمن وأن تعبر فيه عن الحياة بالقيم فقط، لكنها فشلت؛ لأن القصص إذا تخلص تماماً من الزمن فلن يستطيع أن يعبر عن شيء إطلاقاً، وبمكنتنا أن نلاحظ الهاوية التي تنزلق إليها في روايتها الأخيرة، فهي تريد أن تلغي وجهاً من أوجه الرواية، ذلك التابع الزمني،

(١) دراسة نصية في القصة القرآنية، الطراونة، ص ٢٣٣.

(٢) بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية محفوظ، سيزا قاسم، ص ٣٨.

(٣) بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية محفوظ، سيزا قاسم، ص ٣٨.

وأنا أشفق عليها، فهي لن تستطيع أن تفعل هذا دون أن تلغي التتابع بين الجمل، وهذا لن يتيسر دون إلغاء الترتيب بين الكلمات داخل الجمل أيضاً، الأمر الذي بدوره إلغاء ترتيب الحروف والأصوات داخل الكلمات، وهي الآن تقف على حافة الهاوية^(١).

كما أكد سعيد مطاوع على أهمية الزمن في العمل القصصي فقال: "إنَّ العنصر الزمني مما تقوم عليه القصة الناجحة، فإنَّ الخيوط الزمنية تمسك بكل جزئيات القصة حتى تطلع بها في الوقت المنشود، كما أن اختفائه يستوجب اختفاء عنصر مهم من القصة"^(٢).

إنَّ للقصص نظرة خاصة في عنصر الزمن إذ إنه ينظر له على أنه اليد الحاملة للأحداث والمحركة لها، وبغيره تهوي الأحداث وتتساقط ميتة بلا حراك، وليس لاستخدام العنصر الزمني، والانتفاع به، في العمل القصصي قاعدة محددة، أو أسلوب مرسوم، وإنما هو أداة طيعة في يد الكاتب القصصي، أو أشبه باللون الذي يستعمله المصور، كذلك العنصر الزمني بالنسبة للكاتب القصصي فإنه يأخذ منه القدر المناسب للحال المناسب، وحسب ما يعتمل منه في كيانه من مشاعر أو أحاسيس^(٣).

وللزمن فاعلية كبيرة في النص السردي، إذ يمثل إحدى الركائز الرئيسية التي يستند إليها العمل السردي، وتأتي أهمية دراسة الزمن في السرد كونه يكشف عن القرائن التي تدلنا على كيفية الزمن في العمل الفني^(٤).

ونخلص مما سبق أن للزمن أهمية كبرى، وأنَّ محاولة التخلص منه يحكم على عمله الفني بالسقوط في الهاوية؛ إذ لا يمكن التخلص من الزمن في العمل الفني؛ فهو يرتبط بعناصر العمل الفني ارتباطاً وثيقاً، يمكن لنا أن نشبهه بمثابة الروح للجسد، فهو يتخلل للعمل الفني كله ولا نستطيع أن ندرسه دراسة تجزيئية، فهو الهيكل الذي يشيد فوقه العمل الفني، كما أن نجاح العمل الفني متوقف على العنصر الزمني، وأنَّ اختفائه يستوجب اختفاء عنصر مهم من العمل الفني، فالزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث، وهو عادة ما يكون مرتبطاً بالإدراك النفسي من خلال رؤية تقدم للإنسان المبادئ والأفكار التي تنطوي عليها القصة.

(١) أركان القصة، فوستر، ترجمة كمال عياد جاد وحسن محمود، ص ٥٣-٥٤.

(٢) الإعجاز القصصي، سعيد مطاوع، ص ٧٤.

(٣) انظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، الخطيب، ص ٨٣ بتصرف.

(٤) انظر: بنية الشكل الروائي، بحراوي، ص ١١٣.

المبحث الثاني

الإعجاز الزمني الطبيعي [الكوني]

لم يستخدم القرآن الكريم مصطلح الزمن في الآيات القرآنية، وإنما وردت فيه ألفاظ دالة عليه نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٧-٣٨، وص: ٨٠-٨١]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، وغيرها من الآيات القرآنية الدالة على الزمن دون استخدامه كلفظ بصورة مباشرة.

إنَّ نظرة الباحثين للزمن في القصة القرآنية نظرةً تاريخيةً وحصر تفكيرهم في الزمن الطبيعي؛ لذا نجد أفكارهم محصورة في هذه الزاوية، فذكر أغلبهم أنَّ الزمن في القصة القرآنية ليس موجوداً مرتكزين في ذلك على أنَّ أحداث القصص القرآني لم تكن مرتبةً ترتيباً منطقياً، كما أنها لم تذكر زمن وقوع الحدث، ولم ترد إشارةً للزمن، إلا في حدود الحاجة إليه فليس في القرآن قصة واحدة عني فيها بالزمن فضلاً عن اختيار القرآن الكريم لعدد من الأحداث دون غيرها وعدم الاهتمام بترتيبها الزمني أو الطبيعي في إبرازها وتصويرها^(١).

على الرغم من أن القرآن الكريم لا يعمد إلى تحديد التاريخ والزمان المفصل: بل يكتفي بالإشارة التي تجعل الأحداث متصلة بزمان ومكان بعينهما، وبعيداً عن التضييق الزمني، ومع ذلك فإننا نرى أن القرآن الكريم يكتفي بذكر الزمان مقدماً مفتاحاً وإشارة تاركاً مساحة كافية أمام العقل، إنَّ ترك القصة القرآنية لتحديد الزمان لا يعني أنَّ القصة القرآنية خلت من الزمن، بل جاءت حافلة، فقد زخر السرد في قصة أصحاب الكهف بعنصر الزمن الذي يعد لوناً من ألوان الإعجاز القرآني، وفيما يلي تفصيل في الزمن الطبيعي الكوني.

(١) انظر: الفن القصصي في القرآن الكريم، لمحمد خلف، ص ٣٦، بتصرف.

المطلب الأول

الزمن الطبيعي في الدراسات الأدبية والقرآنية

أولاً: الزمن الطبيعي في الدراسات الأدبية:

إنّ الزمن الطبيعي بركنيه الأساسيين التاريخي والكوني يشكل معيناً مهماً للروائي في تعزيز خيوط عمله الفني،

وفي ذلك نقول سيزا قاسم: "للزمن التاريخي اتجاه وزاوية: فهو يتجه إلى الأمام أولاً فيمثل خطأً أفقياً تنطلق عليه حياة الشخصيات في اتجاه واحد لا رجعة فيه، وهذا ما يعرف بالطبيعية ألا عكسية للزمن، فالزمن يسير في نحو المستقبل مؤكداً حتمية مصير البشرية، وهي مآل الإنسان للموت... فالزمن يتجه إلى الأمام، ولكنه يتقدم إما صاعداً نحو التقدم والتطور والنمو، وإما هابطاً نحو الاضمحلال والتدهور والانحطاط"^(١).

وتؤكد في موضع آخر على ارتباط الزمن الطبيعي بالتاريخ ارتباطاً وثيقاً فتقول: "وللزمن الطبيعي ارتباط وثيق بالتاريخ؛ لكونه يمثل اسقاطاً للخبرة على خط الزمن الطبيعي، وهو يمثل الذاكرة في اختزان الخبرات مدونة في نص له استقلاليته عن عالم الوجود في النص السردي"^(٢).

ثانياً: الزمن الطبيعي في الدراسات القرآنية:

لقد امتاز القصص القرآني في عرضه للتاريخ، وتصويره لأحداث الأمم السابقة بمنهج خاص، فنجده عند ذكر قصة من الزمن الماضي لا يعمد إلى ذكر السنة التي بدأت فيها أحداث هذه القصة، كما أنه لا يعمد إلى ذكر السنة التي انتهت فيها أحداث هذه القصة، ومرد ذلك أن ذكر الزمن الذي وقعت فيه القصة لا يضيف إلى مغزاها شيئاً، وهذا لا يعني أنّ زمن القصة في القرآن ليس له قيمة، فالقرآن أعطى للزمن قيمةً عظيمةً، وحرص على التصريح بكل جزئية منه إذا كانت هذه الجزئية تضيي بظلال المعرفة والعظة على القصة"^(٣).

(١) بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية محفوظ، سيزا قاسم، ص ٧٠.

(٢) بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية محفوظ، سيزا قاسم، ص ٦٨.

(٣) انظر: جمالية القصة القرآنية، قصة أصحاب الكهف أنموذجاً، بان حميد فرقان، مجلة كلية الآداب العدد، ١٠١، ص ١٢ بتصرف.

لقد عمد بعض الكتاب إلى التوزيع الزمني وتحريك أجزائه في اتجاهات غير اتجاهاته الطبيعية، إلا أن القرآن لم يتجه إلى هذا اللون من ألوان التوزيع الزمني، ولم يأخذ به، بل أقام الزمن في قصصه على الوجه الطبيعي، فوجد الزمن في القصة القرآنية يتحرك نحو الأمام، ولم يخرج عن هذا الأسلوب^(١).

فالزمن في القصة القرآنية زمن مطلق من كل قيد، إلا قيد الماضي، فلا للزمن ولا لجزئياته حدود تحده بالنسبة للزمن الذي يظلنا، فلا نستطيع التعرف على السنوات أو القرون التي تفصلنا عن الحدث، فقرب الحدث أو بعده لا يؤثر فيما يحمله من اعتبار ومواضع العظة، التي لا تتغير ولا تختلف من زمن لآخر^(٢).

لم يلتزم القرآن بالترتيب الزمني للأحداث وما يتبعه من مراعاة الترتيب الزمني في الذكر للوقائع التاريخية؛ ذلك أن القصة القرآنية لا يعنيه من ذكر الزمان إلا ما كان في ذكره قيمة للأحداث وتطورها^(٣).

ويلاحظ أن ذكر الزمن في السرد القصصي يأتي أحياناً وكأنه مقصود لذاته؛ ليبين وجه الإعجاز الزمني، وليوضح أن الله ليس خاضعاً لما يخلق من أزمان مثلنا نحن خاضعون، وإنما هو فوقنا جميعاً ومتعالٍ عليها^(٤).

المطلب الثاني

دراسة تطبيقية على الزمن الطبيعي الكوني في قصة أصحاب الكهف

لقد تجلّى الإعجاز الزمني الكوني في قصة أصحاب الكهف في مواضع عدة، حيث كان للزمن الكوني حضوره البارز، وكان في تحديده من تدبير خالق الكون، إذ إنَّ عنصر الزمن فعال، له وزنه وإيقاعه في القصة القرآنية بشكل عام، فهو لم يكن حشواً، أو زيادة، وإنما يحمل في طياته دلالات لا تُكشف إلا لذوي البصيرة، والزمن الكوني، هو إيقاع الزمن في الطبيعة ويتميز بخاصية التكرار واللامتناهية، وفيما يلي تطبيق على الزمن الطبيعي الكوني في قصة أصحاب الكهف:

- (١) انظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، للخطيب، ص ٨٧.
- (٢) انظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، للخطيب، ص ٩١.
- (٣) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، تهامي نقرة، ص ٩٧.
- (٤) انظر: أسلوب السرد القصصي في القرآن، محمد الطويل، ص ٣٩.

أولاً: لقد تميز القرآن الكريم وتعبيره بأن كل لفظة قرآنية جاءت في موضعها.

أودع الله ﷻ في هذه الألفاظ معجزة تشهد على إعجازه اللفظي الذي يعبر عن

دلالة زمنية؛ لذا فالسؤال الذي يطرح نفسه: هل هناك علاقة بين النوم والسمع؟

معلوم أن النوم ضرورة من ضرورات الوجود للكائن الحي؛ ذلك أن الجسم بصفة

عامة، والمخ بصفة خاصة يتعرض للعديد من التغيرات خلال سلسلة تجعله مغايراً لحالة

اليقظة، وقد ثبت وجود علاقة عكسية بين الاستغراق في النوم ومستوى الحس، وبما أن

السمع هو الجهاز الوحيد للاستقبال عن بعد للإنسان، وهو المعين على الإحساس بالوسط

المحيط، وفي قوله تعالى: ﴿فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكُهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: ١١]، إنما استعمل

القرآن لفظ [الأذن] للتعبير عن العلاقة بين السمع والزمن الكوني الذي تمثل في نوم الفتية؛

لأن حاسة السمع أول الحواس عملاً وآخرها تعطلاً، وقد أشار المفسرون إلى الإعجاز في

لفظ ﴿فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ "أي: ضربنا عليها حجاباً من أن تسمع، يعني: أمناهم إنامة ثقيلة لا

تنبههم فيها الأصوات، كما ترى المستقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستتبه"^(١).

أما الشعراوي فقال: "أي: غطناها بغطاء محكم يحجب عن العالم الخارجي...

والضرب على آذانهم هو للرحمة لا للعذاب؛ لأن الله-تعالى-أراد لهم أقصى درجات

الراحة والنوم الهادئ الذي لا يعكر صفوه شيء"^(٢). إنَّ الله ضرب على آذان الفتية حين

دخلوا إلى الكهف؛ فناموا نوماً امتد إلى سنين كثيرة^(٣).

لقد جاء نوم الفتية على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الإنامة الثقيلة التي تمنع

الأصوات من الوصول إلى آذان الفتية من خلال ضرب حجاب عليها، وفي ذكر الآذان

اختصاص مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم؛ لأنها تحتاج إلى

الحجب عادة إذ هي الحاسة المسؤولة عن إيقاظ النائم خاصة إذا ما كان منفرداً وفي عزلة عن

الخلق، وقال البعض: إنَّ الضرب على الآذان كناية عن الإنامة الثقيلة وهي حمل على تعطيلها^(٤).

(١) الكشف، الزمخشري، ٦٧٨/٢ وانظر: تفسير النسفي، أبو البركات النسفي، ص ٦٣٠ وفي رحاب

القرآن، كشك، ١٣٨/١٥.

(٢) تفسير الشعراوي، ٤٩٧/١٤.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٣٩/٥ وأيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٢٤٠/٣.

(٤) انظر: تفسير أبي السعود، أبو السعود، ٢٠٦ / ٥ (بتصرف)، تفسير القرآن بالقرآن في أضواء البيان،

ص: ٥١٨، وفتح القدير، الشوكاني، ٣٣٧/٣.

ثانياً: لقد تجلت قدرة الله في إمامة الفتية سنين عدداً في لفظ الضرب على الآذان بحجاب يمنع وصول الصوت إليهم، وبهذا تكون قدرة الله قد أخرجت الفتية من الزمن الدنيوي إلى الزمن الكوني^(١) الذي استمر سنوات كثيرة وهذه السنوات كما كشفت عنها الآيات لاحقاً في قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]، وفي تفسير هذه الآية قال المفسرون: "روي عن علي ؑ أنه قال: عند أهل الكتاب لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية، والله-تعالى-ذكر السنة القمرية، والتفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون ثلاثمائة وتسع سنين"^(٢)، وهذا الإعجاز في الحساب الزمني بين السنة القمرية والشمسية لم يكن الرسول ﷺ على علم به وهو الأمي الذي لا يعرف القراءة والكتابة^(٣).

وفي الجامع: "وحكى النقاش ما معناه: أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية بحساب الأيام، فلما كان الإخبار هنا للنبي العربي، ذُكرت التسع، إذ المفهوم عنده من السنين القمرية، وهذه الزيادة هي ما بين الحسابين، ونحوه ذكر الغزنوي: أي: باختلاف سني الشمس والقمر؛ لأنه يتفاوت في كل ثلاثٍ وثلاثين وثلث سنة، فيكون ثلاثمائة وتسع سنين"^(٤).

إنما هو تقدير للمدة التي لبثها الفتية في الكهف، فالتعبير بالعدد ثلاثمائة زيادة التسع عليها هو مناسب للعرب والإسلام مع الإشارة إلى موافقة هذا الحساب مع المقدار الشمسي والذي هو تاريخ أهل الكتاب الذين منهم أهل الكهف وهم أهل بلاد الروم^(٥): أراد الله إحياءهم مضروباً على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل في قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: ١١]^(٦).

(١) الزمن الكوني: هو الزمن الطبيعي وهو اللامتناهي المنتظم كاختلاف الليل والنهار، وما ينشأ عنهما من أيام وشهور وسنين.

(٢) تفسير أبي السعود، أبو السعود، ٢١٧/٥.

(٣) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١٤٨/١٥ بتصرف.

(٤) تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٩٣/٦.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٠٠/١٥ بتصرف.

(٦) انظر: الكشاف، الزمخشري، ٦٨٨/٢ وتفسير النسفي، أبو البركات النسفي، ٦٣٦.

والسؤال الذي يطرح نفسه، هل هناك علاقة بين التقويم القمري والتقويم الشمسي؟ لقد ربط القرآن بين التقويمين في دقة متناهية وهذا ما كشف عنه البحث من خلال تتبع أقوال العلماء، فقد أكد العلم الحديث أنّ هذه الفترة فاقت العقل البشري لتدخل الحيز الإعجازي فنجدهم يفسرون قوله: **[ثلاثمئة سنين وازدادوا تسعاً]** تفسيراً علمياً.

يقول النابلسي: "وهو أيضاً من الإعجاز العلمي في كتاب الله، ثلاثمئة عام ميلادي تساوي بالضبط ثلاثمئة وتسع سنوات هجرية، فربنا ﷺ أعطى المدة على التقويمين، الشمسي والقمري، فثلاث مئة سنين بالسنين الشمسية وازدادوا تسعاً، والسنة الشمسية هي مدة دورة الأرض حول الشمس في اثني عشر برجاً، فالسنة الشمسية حقيقة، والشهر الشمسي حكمي، أما بالهجري فبالعكس، الشهر القمري هو شهر حقيقي، والسنة القمرية حكمية، أي: أن السنة القمرية شهر ضرب ١٢، أما السنة الشمسية سنة تقسيم ١٢، فثلاث مئة سنين على السنوات الميلادية وازدادوا تسعاً على التقويم القمري وليس الهجري، إذا لم يكن وقتها^(١) تقويم هجري"^(٢).

"الآية دلت على وحدة الزمان والمكان [الزمكان]^(٣) لذات تواحد الفترة الزمنية، لراصد الزمان الذي يسكن كوكبنا الأرضي فإذا مضى زمان قدره ٢١٩ سنة شمسية فيسجل ذات الراصد لذات الفترة ٣٠٠ سنة قمرية، بمعنى أنّ الأرض تدور حول الشمس بسرعة كونية معينة، والقمر يدور حول الأرض بسرعة كونية نسبية أكبر من تلك التي تدور بها الأرض، فالقمر يتقارب زمانه وتزداد سنواته"^(٤).

(١) السنة الحكمية: ليس سنة بالمعنى الحقيقي بل هو ناتج من تقسيم السنة الشمسية على اثني عشر وحدة زمنية صغرى، والسنة القمرية: هي ناتجة من ضرب السنة القمرية في اثني عشر مرة، سميت مجازاً. أما الشهر القمري الحقيقي فهو عبارة عن زمان مفارقة القمر الشمس في وضع مخصوص بالنسبة إليها. والشهر الشمسي هو مدة قطع الشمس بحركتها الخاصة التقويمية برجاً واحداً.

(٢) موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، تفسير سورة الكهف، النابلسي، ص: ٥٦، وانظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ٥١٩/١٤.

(٣) الزمكان: مصطلح حديث منحوت من كلمتي الزمان والمكان في العمل الفني. وهو الفضاء بأبعاده الأربعة، فأبعاد المكان ثلاثة، طول وعرض وارتفاع، والزمن هو البعد الرابع.

(٤) نظرات في الكون، عبد الهادي ناصر، ٢٤٦-٢٤٧.

لقد أطلق العلماء على السنة الشمسية بالانقلابية، وهو الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية، وقد أثبت العلماء أن الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية ١٠.٨٧ أيام وبذلك يكون في كل ٣٣ سنة فرق قدره ٣٥٨.٨٧ يوماً أو نحو سنة تقريباً، وعلى ذلك فإن كل مائة سنة تزيد ثلاث سنوات، وتكون الثلاثمئة سنة شمسية يقابلها ٣٠٩ سنة قمرية^(١).

الخلاصة فيما سبق:

إنّ المدة الزمنية لمكوث الفتية في الكهف ثلاثمئة سنين شمسية وهي تساوي بالحساب القمري ثلاثمئة وتسعاً من السنوات، وهذه السنوات ما هي إلا تعبير عن الزمن الكوني وحساباته التي هي في يد الخالق، لقد وسع الله سبحانه مساحه الزمن بلفظ سنين وانتقل بالضرب الآتي اليومي إلى مسألة السنين، وجعل عدداً نكرة لمن شاء أن يعرف عدد السنين، لقد تحول المكان إلى معجزة عندما ارتبط بزمن نوم الفتية الخارق، الذي فارق الزمن الطبيعي للنوم الآدمي؛ ليقف العقل متعجباً حائراً أمام إعجاز القرآن الزمني، إذ مصدره الخالق المعجز الذي بيده ملكوت كل شيء والمتصرف الوحيد في الكون.

ثالثاً: لقد عبر النص القرآني عن حركة الشمس، ليكشف لنا عن معجزة زمنية كونية، فالفتية نيام، والشمس تؤدي دورها المقدر من الله لحفظ الفتية، وهذا ما كشفه قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ إِلَيْهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ [الكهف: ١٧]، ولألفاظ هذه الآية دلالات لغوية تكشف عن الإعجاز الزمني الكوني الذي حملته في طياتها، وللوقوف على هذه الدلالات لا بد لنا من الوقوف على أقوال علماء الفلك والمفسرين، وهذا يحتاج إلى الوقوف على المعاني اللغوية لكل لفظ على حدا على النحو الآتي:

١- المعاني اللغوية:

أ- تزاور: الزور: الميل والعدول عن الشيء والانحراف^(٢)، ولزور عن كذا، أي: مال عنه، ومن ذلك الزور: الكذب؛ لأنه مائل عن طريق الحق^(٣)، أي أن الله - سبحانه وتعالى - خرق لهم نظام الشمس؛ ليكون ضوءها مائلاً مساعداً له، فالشمس تميل عند طلوعها.

(١) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن، السيد الجميلي، ص: ٤٥، ونظرات في الكون، عبد الهادي ناصر، ٢٠٦-٢٠٧ [٢٠٧] (بتصرف).

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٢٠/٦ بتصرف.

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣/٢٣٦ وانظر: المفردات: الأصفهاني: ص: ٣٨٧.

ب- القرض: القطع، قرضه يقرضه، بالكسر قرضاً وقرضه، قطعه^(١)، وهو ضرب من القطع، وسُمي قطع المكان وتجاوزَه قرضاً كما سُمي قطعاً^(٢).

٢- أقوال علماء الفلك والمفسرين:

لا شك أنّ هناك علاقة وطيدة بين حركة الكون الزمنية والمكان، إذ إنّ القرآن كلُّ متكامل، ولا بد من قراءة متكاملة للألفاظ القرآنية لغوياً وزمانياً ومكانياً وهذا ما دلت عليه الآية السابقة.

يقول العلماء: "إنّ الشمس على بعد مائة وخمسين مليون كيلو، وأنّ شعاعها ينطلق ليصل إلينا في ثماني دقائق، وها هو ضوءها يسقط على الكهف المعمور بأهله، إنّ الشعاع يميل عنهم في الكهف في الصباح يمينا، وفي المساء شمالاً حتى لا يشعر مار بأنّ في الكهف أحد"^(٣).

"لقد أثبتت الأبحاث خطر أشعة الشمس خاصة على النائم، وأنّ للظلمة مهمة، فيها تهدأ الأعصاب وترتاح الأعضاء، والشمس خلق من خلق الله، لها مدار ثابت وقانون لا يختلف، لقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] لكن الخالق- سبحانه وتعالى- خرق له نظام الشمس حتى لا يزعجهم ضوءها فجعلها تزاور، أي: اميل عند طلوعها عن الكهف... فكانت الشمس إذا طلعت تميل عن الكهف جهة اليمين"^(٤).

لقد ربط العلماء بين المعجزة الزمنية الكونية لحركة الشمس عند طلوعها وغروبها وبين الموقع الجغرافي للكهف، "لو كان باب الكهف من ناحية الشرق لما دخل إليه شيء منها حين الغروب، ولو كان باب الكهف من ناحية الجنوب لما دخل شيء حين الطلوع ولا الغروب، وما تزاور الفياء لا يمينا ولا شمالاً، ولو كان جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع بل بعد الزوال، ولا تزال فيه إلى الغروب"^(٥).

وأكد ابن كثير على العلاقة بين الحركة الزمنية للشمس، ومكان الكهف بقوله: "هذا فيه دليل على أنّ باب الكهف كان من نحو الشمال؛ لأنّ الله-تعالى- أخبر الشمس إذا دخلته

(١) لسان العرب، ابن منظور، ١١/١١٤.

(٢) المفردات، الأصفهاني، ص: ٦٦٦.

(٣) نحو تفسير موضوعي، محمد الغزالي، ص: ٢٣٠-٢٣١.

(٤) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ١٤/٥٠٦.

(٥) في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك/ ١٥/١٤١.

عند طلوعها تزاور عنه ذات اليمين، أي: يتقلص الفيء يمناً، قال: وذلك لأنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان؛ ولهذا قال: إذا غربت تقرضهم ذات الشمال، أي: تدخل غارهم من شمال بابه، وهو من ناحية الشرق^(١).

إنّ الظاهرة الزمانية للمكان في قصة الفتية كان لها مدلولاً إعجازياً الأمر الذي يؤكد الواقع والعلم والإيمان، ونقلتها لنا الألفاظ في الآية بوقائعها الحية، وعلى الرغم أنّ القرآن الكريم لم يحدد المكان جغرافياً إلا أنّ مواصفاته جاءت لتخدم الظاهرة الإعجازية للزمن، فالكهف ذلك المكان الذي يحيط به الزمن الدنيوي المتعارف عليه إلا أنّ داخله يخيم عليه السكون، وعدم الإحساس بمرور الزمن يمتد إلى السنون، وكأنّ الكهف أصبح يسير وفق زمانية وهما الزمن الدنيوي من خلال تعاقب الليل والنهار، والزمن الإعجازي من خلال توالي السنون وتزاور الشمس وقرضها لتصل إلى قرون^(٢).

"فالشمس تميل؛ ذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بسبب الارتفاع فلا يبقى منه شيء عند الزوال في ذلك المكان، وقد جاء التعبير بالفعل المضارع تزاور دلالة على تكرار هذه المعجزة كل يوم"^(٣).

"والقرض: هو أن تعطي غيرك شيئاً يحتاج إليه، فكأن الشمس تقرضهم وتسلفهم، كونها لا تدخل عليهم عند غروبها، وهذا أمر ليس من حقهم، فكأنها تقرضهم إياه، ولا شك أنّ هذه العملية مظهر من مظاهر قدرة الله التي تصنع الشيء وضده، فالله -سبحانه وتعالى- جعل الفعل للشمس في تزاور وتقرضهم وكأنها تفعل ذلك من نفسها بعد أن ضبط حركتها على هذه الأفعال كما تضبط الآلة اليوم"^(٤).

وفي التحرير: "تقرضهم: أي تتصرف عنهم، وأصل القرض القطع، أي: أنها لا تطلع على كهفهم، فالشمس إذا طلعت تطلع على جانب الكهف، ولا تخترقه أشعتها، وإذا

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٤٢/٥.

(٢) إشكالية الزمن في القصص القرآني، رسالة دكتوراه، بن ذهبية لطروش، ٥١ بتصرف.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٤٢/٥ وانظر: (التحرير والتتوير، ابن عاشور، ٢٧٨/١٥ تفسير أبي

السعود، ٢١١/٥)، وتفسير القرآن بالقرآن في أضواء البيان، الشنقيطي، ٥٢٨ بتصرف.

(٤) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ٥٠٦/١٤.

غربت كانت أشعتها أبعد عن فم الكهف منها حين طلوعها، وهذا وضع عجيب يسره الله لهم بحكمته؛ ليكون داخل الكهف بحالة اعتدال فلا ينتاب البلى أجسادهم، وذلك من آيات قدرة الله^(١).

الخلاصة:

أنَّ الآية كشفت عن الزمن الطبيعي الكوني لحركة الشمس، وقد ربطت بين هذه المعجزة الكونية وبين موقع الكهف، فالشمس تزاور عن كهفهم ذات اليمين، وتقرضهم ذات الشمال، وهم في فجوة منه، كل هذا من خلال لوحة فنية متماوجة الحركة، وقد برع التصوير القرآني في إظهار كل ما تم داخل الكهف في زمن امتد إلى قرون، ويأتي وصف الكهف مناسباً لحركة الشمس الكونية، فحركة الشمس حركة مألوفة للإنسان، لكن غير المألوف هو أنَّ الشمس تزاور وتقرض بحركة إجازية لا يملكها إلا الله.

(١) التحرير والتتوير، ابن عاشور، ٢٧٨/١٤.

المبحث الثالث

الإعجاز الزمني النفسي [الباطني - الداخلي]

ويقصد بالزمن النفسي، هو الزمن الذي اختص المشاعر الإنسانية، وهذا مفهوم ذاتي، فجاءت قصة أصحاب الكهف زاخرة بالآيات التي تضمنت ألفاظاً دالة على الزمن النفسي، وقبل الوقوف على الزمن النفسي لأصحاب الكهف لا بد من الوقوف على مفهوم الزمن النفسي للعلماء والأدباء، والتعرف على أقوالهم فيه، لذا فقد قسم المبحث إلى مطلبين، المطلب الأول- مفهوم الزمن النفسي في الدراسات الأدبية، والمطلب الثاني- دراسة تطبيقية على الزمن النفسي في قصة أصحاب الكهف، فجاء المبحث على النحو الآتي:

المطلب الأول

الزمن النفسي في الدراسات الأدبية والقرآنية

لقد ركز الأدباء على الزمن النفسي ولم يتوقفوا عند الزمن الخارجي ومعالمه، وبناءً على ذلك فقد فقدت الساعات والتواريخ معناها المعياري، وبدأت الوحدات التقليدية العريضة فأصبحت اللحظة أكثر دلالة وأكبر خطراً من السنة، وتكشف لنا اللحظة عن ثنائية الزمن، ولها دلالة إذا ما نظرنا إليها بطريقتين متباينتين تماماً^(١).

'يختلف الزمن النفسي عن زمن الطبيعي اختلافاً جوهرياً؛ ذلك أن الزمن الطبيعي لا يخضع لمعايير خارجية، أو مقاييس موضوعية، وهذا البعد الزمني مرتبط في الحقيقة بالشخصية، لا بالزمن من حيث إن الذات أخذت محل الصدارة، فقد الزمن معناه الموضوعي وأصبح منسوجاً في خيوط الحياة النفسية، فكلما ركز الكاتب على الشخصية وذاتها تقلص الزمن الخارجي، وكلما خرج خارج الشخصية اتسعت رقعة الزمن الخارجي"^(٢). وفيه يبدو إحساس الإنسان بطول الزمن أو قصره، ويضرب، فللزمان في القرآن مقاييس معلومة ومقاييس مجهولة سابقة ولاحقة، وإحساس به، قصراً وامتداداً، يطغى على القياس المعلوم"^(٣).

(١) انظر: الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، إبراهيم جنداري، ص ٦٨.

(٢) بنار الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، ص ٧٦-٧٧.

(٣) الإعجاز القصص، سعيد مطاوع، ص ٧٥-٧٦.

أطلق البعض على الزمن النفسي بالزمن المطلق، فجاء في تعريفه أنه: "هو الزمن المطلق الحقيقي الرياضي، وهو قائم بذاته مستقل بطبيعته، في غير نسبة إلى أي شيء خارجي، ويسير باطراد ورتوب، ويسمى أيضاً باسم المدة"^(١).

"والزمن الداخلي زمن خاص لا يقبل القياس، لأنه لا مرجع له سوى صاحبه، وصاحبه يختلف في تقديره؛ لأنه يشعر به شعوراً غير متجانس، ولا توجد لحظة فيه تساوي اللحظة الأخرى، فهناك اللحظة المشرفة المليئة بالنسوة، وهناك السنوات الطويلة الفارغة التي تمر رتيبة خاوية كأنهم عدم"^(٢).

لقد ربط الأدباء البعد الزمني بالشخصيات، لا بالزمن؛ ذلك أنّ الذات استحلت الصدارة، وبهذا يفقد الزمن معناه الموضوعي، فقد أصبح منسوجاً في خيوط الحياة النفسية، لا في الساعات والأيام والسنوات^(٣).

إنّ الزمن النفسي هو الأساس، وليس الزمن الطبيعي، وبالتالي فهو يتجاوز الحدود الزمانية، والتقسيمات الخارجية [الماضي والحاضر والمستقبل]؛ لذا يمكن للإنسان في لحظة واحدة أن يمتلك أزمنة متفرقة وأدوات عدة متداخلة بحرية واتجاهات مختلفة، حيث تستحضر فيه الذات الإنسانية الماضي عبر الذاكرة في لحظة الحضور، ويتمثل أمامها، بل قد يتمثل أمام الذات الإنسانية وفي لحظة الحضور المستقبل عبر الحلم، وإيقاع الزمن النفسي مرهون بمشاعرنا وأحاسيسنا^(٤)، فالذي يعطي الزمن طابعاً عاطفياً هو فرح الإنسان بالوجود، أو تألمه له^(٥).

إنّ الزمن النفسي الداخلي، أو ما يعرف بالزمن الباطني يمثل الخيوط التي تنسج منها لحمة النص... إذ إنّ الزمن الذي يقاس بالساعات يختلف اختلافاً كلياً عن مصير الإنسان الداخلي، ذلك أن مصير الإنسان يتم التعبير عنه في العالم الموضوعي بحيث يصبح عبداً للزمان الرياضي المنقسم^(٦).

(١) الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، إبراهيم جنداري، ص ٤٣.

(٢) مسائل في الإبداع والتصور، جمال عبد الملك، ص ١٥٢.

(٣) انظر: بناء الرواية في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، ص ٧٧.

(٤) انظر: جماليات المكان في ثلاثية حنامية، مهدي عبيد، ص ٢٢٨.

(٥) انظر: حدس اللحظة، فاستونيشلار، تعريب: رضا عزوز وعبد العزيز زمزم، ص ٤٨.

(٦) انظر: الفضاء الروائي في ادب جبرا إبراهيم جبرا، إبراهيم جنداري، ص ٦٧.

وقد قال فضل عباس عن الزمن النفسي أنه: "هو ما نلمحه في تلك الآيات وهي تتحدث عن أصناف الناس ومواقفهم ومشاعرهم، وما يفرحهم وما يحزنهم، ما نجده من بيان لمكونات النفس وخفاياها، ودوافعها في آي القرآن الكريم قد يكون ذلك في القضية القرآنية، وقد يكون ذلك في الحديث عن أعداء المسلمين، وقد يكون ذلك في الدنيا وقد يكون في الآخرة كذلك، فإنك لتقرأ الآية من القرآن الكريم؛ غذبها تصور نفسية أولئك الذين تتحدث عنهم صورة واضحة المعالم، بينة الاتجاه، لا تهمل جزئية، ولا تنسى مشهداً"^(١).

المطلب الثاني

دراسة تطبيقية على الزمن النفسي في قصة أصحاب الكهف

لم تخلُ قصة من القصص القرآني بصورة عامة، وقصة أصحاب الكهف بصورة خاصة من الزمن النفسي، فقد جاءت زاخرة بالألفاظ الدالة على الزمن النفسي الذي عبر البعد الزمني النفسي لأحداث القصة، وشخصياتها على مدار القصة، وقد تناولت القصة البعد الزمني النفسي للرسول ﷺ وقومه، كما تناولت البعد الزمني ودلالاته النفسية للفتية؛ وبناءً على ذلك فقد قسم المطلب إلى مسألتين، تناولنا في المسألة الأولى البعد النفسي للرسول ﷺ وقومه، والمسألة الثانية تناولنا فيها البعد النفسي للفتية، فجاء المطلب على النحو الآتي:

المسألة الأولى: الزمن النفسي للرسول ﷺ وقومه:

أولاً: الزمن النفسي للرسول ﷺ:

وقد جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:6]، لقد عبى القرآن الكريم عن الحالة النفسية للرسول ﷺ في الآية السابقة من خلال لفظي [باخِعٌ وأسفًا] وللوقوف على أبعاد هذا التعبير لا بد من الوقوف على المعنى اللغوي للفظين في قاموس اللغة، ثم في كتب التفسير، ومن ثم الربط بين المدلول اللغوي، وبين أقوال العلماء والمفسرين في هذين اللفظين.

١- باخِع:

بخع نفسه، يبخعها بخعاً، وبخوعاً، قتلها غيظاً، أو غماً، أي: مخرج نفسك، وقاتل نفسك، قال الأخفش: بخعت لك نفسي ونصحي، أي: جهدتها، أبخع بخوعاً، وبخعت الأرض

(١) إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ٣٤٥.

بالزراعة: أبغعها إذا نهكتها، وبخع له بحقه يبخع بخوعاً، وبخاعة، أقر به وخضع له^(١).
ويقول ابن فارس في المقاييس: "الباء والخاء والعين أصل واحد، وهو القتل، وما داناه من إذلال وقهر، قال الخليل: بخع الرجل نفسه إذ قتلها غيظاً من شدة الوجد"^(٢).
٢ - أسفاً:

هو المبالغة في الحزن والغضب، وأسف أسفاً، فهو أسف وأسفان، وأسف، وأسوف، وأسيف، والجمع أسفاء. وأسف فلان على كذا وكذا تأسف وهو متأسف على ما فاتته، وقيل: الأسف عند العرب هو الحزن، وقيل: أشد الحزن، وأسف على كذا وكذا، أي: جزع على ما فاتته، وقال مجاهد: أسفاً، أي: جزعاً، وقال قتادة: أسفاً: غضباً^(٣).

وبالرجوع إلى كتب التفسير وجدنا أن تفسير العلماء لم يخرج عن المعنى اللغوي للفظين، ومن الأقوال التي وردت في تفسير الآية، "تهلك نفسك همماً وغماً ووجداً على فراقهم وعدم إيمانهم بالقرآن الكريم متأسفاً عليهم لفرط الحزن والغضب"^(٤).

وقال الزمخشري: "شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والأسف على توليهم، برجل فارق أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجداً عليهم وتلهفاً على فراقهم، أسفاً: أي: لفرط الحزن، والأسف: المبالغة في الحزن والغضب"^(٥).

"أي: فلعلك يا محمد مهلك نفسك بحزنك على آثار قومك في تمردهم على الإيمان بالنبوة والتصديق بهذا القرآن، فالآية تسلية من الله -تعالى- لنبيه الكريم، على حزنه على إصرار المشركين على عقائد الجاهلية، ومحاربة هذا الدين، وترك التصديق بالقرآن الكريم، وهو مفهوم قوله: بهَذَا الْحَدِيثِ"^(٦).

(١) أنظر: لسان العرب، ابن منظور: ٤٠٣/١-٤٠٤، والمعجم المعاصر، أحمد مختار عمر، ص ١٦٦، والمفردات، الأصفهاني ص ١١٠.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢٠٧/١.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٦٧/١-١٦٨.

(٤) تفسير أبي السعود ٢٠٤/٥ وانظر: الدر المنثور، السيوطي، ٣١٠/٥ وفتح القدير، الشوكاني، ٣٣٤/٣.

(٥) الكشف، الزمخشري، ٦٧٦-٦٧٧ وانظر: تفسير النسفي ٦٣٠ وصفوة التفسير، الصابوني،

١٨٣/٢ وفي ظلال القرآن، سيد قطب، ٢٢٦٦.

(٦) التفسير المأمون، مأمون حموش، ٥٥٧/٤.

"فهذا تصبير من الله تعالى - لرسوله على أذى قومه، فقد دفعه حرصه عليهم أن يحزن، قال له مولانا: لا تهلك نفسك على هؤلاء بعد ما كذبوا هذا القرآن، ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون" (١).

"فإن الله يعاتب الرسول ﷺ ويخفف عنه ما يجده في نفسه من الحزن على عدم إيمانهم واشتدادهم في الكفر والتكذيب وما يقترحونه عليه من الآيات، أي: فلعلك يا رسولنا قاتل نفسك على إثر رفض قومك للإيمان بك وبكاتبتك وما جئت به من الهدى، حزناً عليهم، وجزعاً منهم فلا تفعل واصبر لحكم ربك ولا تأسى على القوم الكافرين" (٢).

لقد جاء الأمر الإلهي للرسول ﷺ بالتبليغ وألا يأسى ولا يحزن لتكذيب مكذب، لقد كان فؤاد النبي ﷺ يفتح بالكآبة، وهو يدعو إلى الله بإخلاص، فيفاجأ بالصدود والانصراف (٣).

وخلاصة ما سبق لقد كشفت الآية عن الزمن النفسي الذي كان عليها الرسول ﷺ من خلال لفظي [ياخع وأسفاً] فالرسول أصابه الحزن والغم والغضب على فراقهم وإعراضهم عن القرآن والتصديق بالنبوة، لدرجة الاجهاد والهلكة، فوصفت الآية حالته النفسية بالقاتل لنفسه والمهلكها، فإنه أراد بهذه الآية تسلية النبي ﷺ ومواساته في حزنه برودة فعل قومه، ونلاحظ أن ما ذكره المفسرون لا يخرج عن المفهوم اللغوي للفظين، فجاء التفسير موافقاً للمعنى اللغوي ومؤكداً عليه هذا والله أعلى وأعلم.

ثانياً: الزمن النفسي لقوم محمد ﷺ:

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ أَصْحَابَ الْكُفْهِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾

[الكهف: ٩].

للهولة الأولى من قراءة هذه الآية يشعر القارئ بأنها جاءت مفتحة لقصة أهل الكهف، إلا أنه بالنظر إليها نظرة تمعن وتفكر في ألفاظها يكتشف القارئ بأن لألفاظها دلالات وإيحاءات إعجازية، وتلك الدلالات والإيحاءات فاقت التصوير العقلي البشري، وفي ذلك قال الشوكاني: "والمعنى: أن القوم لما تعجبوا من قصة أصحاب الكهف وسألوا عنها الرسول ﷺ على سبيل الامتحان قال - سبحانه وتعالى - بل أظننت يا محمد أنهم كانوا عجباً

(١) في رحاب التفسير، عبد الحميد عبد الحميد كشك، ١٣٢٢/١٥.

(٢) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٢٣٨/٣.

(٣) انظر: نحو تفسير موضوعي، محمد الغزالي، ٢٣٠، بتصرف.

من آياتنا فقط لا تحسب ذلك فإن آياتنا كلها عجب، فإن من كان قادراً على جعل ما على الأرض زينة لها للابتلاء، ثم جعل ما عليها صعيداً جزراً كأن لم تغن بالأسماء لا تستبعد قدرته وحفظه ورحمته بالنسبة إلى طائفة مخصوصة، وإن كانت قصتهم خارقة للعادة^(١)، إن الآية تؤكد لكل متعجب ولكل من أضمر في نفسه العب أن قصة أصحاب الكهف على غرابتها ليست بأعجب آيات الله^(٢).

إن الآية تؤكد على حقيقة تاريخية مأساوية كانت وما زالت تواجه كل من كان على حق، وتكشف عن حقيقة أزلية وهي حقيقة الصراع بين الحق والباطل عبر الزمان، يقول محمد الغزالي: 'فمأساة الاستبداد السياسي والمقاومة المؤمنة تتكرر عبر التاريخ، كما أن نصر المؤمنين محقق من عند الله وأن تاريخ هؤلاء الفتية ليس بدعاً'^(٣).

لقد جاءت الآية لتكشف عن الحالة النفسية التي كان عليها القوم عند سؤالهم عن قصة أصحاب الكهف، فالحديث موجه للرسول ﷺ ظاهرياً، وللقوم المكذب المتعجب حقيقةً، فالقوم في حالة تعجب مما سمعوا ويسألون متعجبين فيأتي الرد الإلهي على تعجبهم بأن قصة أصحاب الفتية وإن كانت قصة عجيبة ما هي إلا معجزة من المعجزات الإلهية، فإله القادر على أن يخلق الليل والنهار، والقادر على خلق الإنسان من عدم وإحياء الموتى لا يعجزه أمر الفتية.

المسألة الثانية: الزمن النفسي للفتية أصحاب الكهف:

أولاً: لفظ [أوى] ودلالاته النفسية: في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩]، جاء اللفظ [أوى] في الآية السابقة للدلالة على الحالة النفسية التي كان عليها الفتية، وللوقوف على هذه الحالة لا بد من الوقوف على المفهوم اللغوي للفظ [أوى]، فجاء في مقاييس اللغة: "أوى: الهمزة والواو والياء أصلان، أحدهما التجمع، والثاني: الإشفاق، قال الخليل: يقال: أوى الرجل إلى منزله، وأوى غيره أويًا وإيواءً، ويقال: أوى إيواءً أيضاً، والأوى أحسن... ومأوى مكان كل شيء يأوي إليه ليلاً أو نهاراً..."^(٤).

(١) فتح القدير، الشوكاني، ٣/٣٣٦.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص ٢٢٦١ بتصرف.

(٣) نحو تفسير موضوعي، محمد الغزالي، ص ٢٣٠.

(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/١٥١.

وفي لسان العرب، أوى فلانٌ إلى منزله يأوي أويًا على فُعل، وإيواءٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ [هود: ٤٣]، وأويته أنا إيواءٌ^(١).

وفي المفردات، المأوى: مصدر أوى يأوي أويًا ومأوىً، فتقول: أوى إلى كذا: انضم إليه يأوي أويًا ومأوىً، وآواه غيره يؤويه إيواءً^(٢).

وجاء في المعجم المعاصر لأحمد مختار عمر أن "أوى: أوى إلى يأوى أو، أويًا، فهو آوٍ والمفعول مأوى، أوى فلاناً: أنزله عنده مطمئناً، أوى اللاجئ نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: ٦]، أوى البيت: أوى إلى البيت: احتفى، نزله فيه واتخذهُ مأوى له"^(٣).

لقد أخبر الله ﷻ الرسول ﷺ بأمر الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنهم عنه، فهربوا من القوم الظالمين، ولجؤوا إلى غار ليختفوا عن قومهم، متوكلين على الله سائلين الرحمة والطف، وهب لنا من عندك رحمة، وستر عن قومنا، واجعل عاقبتنا رشاداً^(٤).

وقد أكد ابن عاشور على أن الفتية اتخذوا من الكهف مسكناً لهم فقال: "وأوى أويًا إلى المكان، جعله مسكناً له، فالمكان: المأوى"^(٥).

يقول الشيخ الشعراوي: "أوى من المأوى، وهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان ويلجأ إليه... لذلك لجأوا إلى الكهف مخلفين وراءهم أموالهم وأهلهم وكل ما يملكون، وفروا بدينهم إلى هذا المكان الضيق الخالي من أي مقوم من مقومات الحياة؛ لأنهم لا يشغلون أنفسهم بهذه المقومات، بل يعلمون أن لهم رباً سيتولى أمرهم"^(٦).

أما أبو بكر الجزائري فقد ذكر في تفسيره أيسر التفاسير أن الفتية عندما لجؤوا إلى الكهف كانوا قد استعانوا بالله فقال: "إذ أووا إلى الغار في الكهف فنزلوا فيه، واتخذوه مأوى

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٣٣٣/١.

(٢) المفردات، الأصفهاني، ص ١٠٣.

(٣) المعجم المعاصر، أحمد مختار عمر، ١٤٢/١ وانظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣٣٣/١.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٣٩/٥.

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٦٥/١٥.

(٦) تفسير الشعراوي، ١٤ / ٤٦٩.

لهم ومنزلاً هروباً من قومهم الكفار أن يفتنهم في دينهم... فقالوا سائلين ربهم ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، أي: أعطنا من عندك رحمة تصحبنا في هجرتنا هذه للشرك والمشركين، ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، أي: ويسر لنا من أمرنا في فرارنا من ديار المشركين خوفاً على ديننا ﴿رَشَدًا﴾، أي: سداداً وصلاحاً ونجاةً من أهل الكفر والباطل^(١).

فمضمون الكلمات لا يعرفها ولا يشعر بها إلا من ذاقها، لقد برز الصراع النفسي الداخلي عند الفتية، صراع انكشفت آثاره على تصرفاتهم، إما أن يعتقدوا عقيدة صحيحة مع الموت، أو يحيوا مع الفساد في العقيدة، الخيار صعب فالبيئة التي عاش فيها الفتية قبل الإيواء إلى الكهف حياة، هذه الحياة أثارت صراعاً نفسياً لدى الفتية^(٢).

فالدعاء يكشف عن الحالة النفسية التي مر بها الفتية من خوف واضطراب، فطلبوا من الله ﷻ أن يهيئ لهم حالة من الراحة ونجاة من القوم الظالمين، وخلص من الانحراف والسقوط في الكفر والطغيان^(٣).

في نهاية القول نلاحظ أن: المعنى اللغوي للفظ [أوى] ينصب على التستر والالتجاء للاطمئنان والاحتماء، وهذا ما يؤكد أمر الفتية من التستر خشية من قومهم وطلباً للاحتماء والتخفي عن أعين القوم، كما أن هذا اللفظ يظهر الزمن النفسي العصيب الذي مر به الفتية في ذلك الحين، لقد كانت لحظات عصبية على الفتية، لحظات تمر ببطء، الأمر الذي اضطهرهم للالتجاء إلى الكهف سائلين الله ﷻ الرحمة والتي هي في اللغة: بمعنى الإحسان^(٤)، وفي لسان العرب، بمعنى الرقة والتعطف والمغفرة والتمكين^(٥)، كما أنهم سألوه سألوه الرشد، والرشد في اللغة: هو نقيض الغي، والضلال، إذا أصاب وجه الأمر، والطريق، وقيل: الهداية^(٦)، وهو طريق الاستقامة على الحق والهدى والصواب^(٧). والرشد

(١) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٣/٢٤٠.

(٢) انظر: موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، تفسير سورة الكهف، النابلسي، ص ٤١.

(٣) انظر: موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، تفسير سورة الكهف، النابلسي، ص ٤٢.

(٤) انظر: المفردات، الأصفهاني، ص ٣٤٧.

(٥) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٥/٢٠٢-٢٠٥ والمعجم المعاصر، أحمد مختار عمر، ٢/٨٧٢

ومعجم الرائد، جبران مسعود، ٣٨٨.

(٦) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٥/٢٥٨.

(٧) انظر: معجم الرائد، جبران مسعود، ٣٩٣.

يستعمل استعمال الهداية، يقال: رشد يرشد، قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]^(١)، فالفتية يريدون بذلك الإيواء التحصن والإيواء والتحرز من قومهم لهم، وهذا التحرز والخوف لم يكن على أنفسهم فحسب، بل كان أيضاً على دينهم وهذا ما كشفت عنه الألفاظ في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾.

ثانياً: لقد شكل الزمن النفسي أهم قضية للشخص عند بعث الفتية من نومهم، وقد كشف عن ذلك تفسير العلماء لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاَهُمْ لِنَلْعَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢]، يقول ابن عاشور: "المعنى: ليظهر اضطراب الناس في ضبط تواريخ الحوادث، واختلاف حرصهم وتخمينهم إذا تصدوا لها، ويعلم تفريط كثير من الناس في تحديد الحوادث، وكلا الحالتين يمت إلى الآخر بصلة"^(٢) ويقول الشيخ الشعراوي: "أيقظناهم من نومهم الطويل، إلا أنهم لما طالت مدة نومهم شبهها بالموت؛ لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً، أي: الفريقين بهم؛ لأنهم سأل بعضهم بعضاً عن مدة لبثهم، فقالوا: يوماً أو بعض يوم، والمراد: الفريقان من الناس الذين اختلفوا في تحديد مدة نومهم؛ لنرى أي الفريقين سيعد مدتهم تقديراً صائباً، والأمد: هو المدة وعدد السنين"^(٣). أي: بعثناهم لنعلم أي الفريقين المختلفين في مدة نومهم بالتقدير والتفويض، أو أي الطائفتين المتنازعتين في مدة نومهم أضبط في إحصاء المدة وعدد السنين التي استغرقوها في النوم^(٤). فالآية تكشف بألفاظها عن الحالة النفسية التي سيكون عليها الحزبين وأنه سيقع الخلاف في المستقبل من الزمان^(٥).

(١) المفردات، الأصفهاني، ٣٥٤.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧٠/١٥.

(٣) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ٤٩٨/١٤.

(٤) انظر: تفسير أبي السعود، أبو السعود، ٢٠٧/٥ وفي رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١٣٩/١٥

بتصرف.

(٥) انظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه، الدرويشي، ٤٤٧/٤. بتصرف.

ثالثاً: لقد شكل الزمن الذي استغرقه الفتية في النوم حالة النفسية المستقبلية لما سيكون عليه الحزبان، مما أوجد في نفوسهم حيرة وتساؤل، وهذا ما أثبتته قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩]، الفتية استدرکوا فردوا الأمر لعلم الله، وكأنه حصل لهم نوع من التردد في مدة نومهم والزمن الذي استغرقوه في النوم^(١).

رابعاً: تنتقل بنا الآيات القرآنية لتصور لنا مشهداً جديداً من المشاهد النفسية للفتية بعد أن بعثهم الله من مرقدهم، فالفتية بجالة خوف واضطراب، وبحاجة لربط الله على قلوبه، فجاء قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ لَهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤]، وقد تناول المفسرون هذه الآية فقال ابن عاشور: "والربط على القلوب مستعار إلى تثبيت الإيمان، وعدم التردد فيه، أي: كان الربط في وقت قيامهم، أي: كان ذلك خاطر الذي قاموا به مقارناً لربط الله على قلوبهم"^(٢)، قوينا قلوبهم بالصبر على هجر الأوطان والنعيم، والفرار بالدين وجسرها على القيام بكلمة الحق^(٣)، فالربط هنا لتقوية القلوب وتثبيتها لاقتحام مضايق الصبر والهجر للأهل والاجترار على الصدع بالحق من غير خوف وحذر والرد على دقيانوس الجبار^(٤).

نهاية القول: أن الفتية لم يكونوا ليطمئنوا ولتهدأ نفوسهم وتقوى على مواجهة الكفر والطغيان لولا أن ربط الله على قلوبهم وبث في نفوسهم الطمأنينة والثقة، فالربط عبر عن الحالة النفسية التي كان عليها الفتية حين وقفوا بين يدي دقيانوس، من قوة وثبات على الحق وطمأنينة، وخص القلب؛ لأن القلب هو المسيطر فإذا ما هدأ القلب واطمأن ارتاحت النفس وقويت عزميتها بالإضافة إلى أن الربط على القلب يزيد من عزم الاتيان والإرادة وصلابة النفس يحملها على مواجهة صعاب الحياة، فالربط على القلب فيه راحة نفسية بعد اضطراب هذا والله أعلى وأعلم.

(١) انظر: تفسير القرآن، العظيم، ابن كثير، ١٤٥/٥ بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧٢/١٥.

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري، ٦٧٩/٢.

(٤) انظر: تفسير أبي السعود، أبو السعود، ٢١٠/٥ وإعراب القرآن الكريم وبيانه، الدرويش، ٤٥٠/٤ بتصرف.

خامساً: لقد قدم التعبير القرآني لوناً آخراً من ألوان التصوير، يبدو في تصوير العواطف وما يعترئها من انفعالات ومشاعر الخوف والرعب وإيرازها وقد برز هذا التصوير في قوله تعالى: ﴿وَوَحَّسْبُهُمْ أَيَقَاطًا وَهُمْ رُؤُودٌ وَنُقَلَّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلَّبَهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَلَّيْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ [الكهف: ١٨]، الآية تصور مشهد أهل الكهف وقد تحولوا إلى صورة تفرغ القلوب وتروغ النفس، يؤكد تهامي نقرة أن القرآن استخدم وسائل للترهيب مختلفة فقال: "نلاحظ أن القصص القرآني يثير انفعال الرهبة أو الخوف أو العجب أو الإعجاب أو الاستياء أو نحو ذلك بطرق شتى من المثيرات والمنبهات، ويعمل على تحويل تلك الانفعالات العابرة إلى عواطف ثابتة بواسطة التكرار أو الإيحاء أو الاقتران وغيرها من الوسائل"^(١)، إن هذه الآية تتفق مع نظرية علم النفس القائلة: "إن الإنسان يفرغ من خطر فإن غريزة حب البقاء تدفعه بعيداً عن مصدر الخطر؛ لأن مجرد الإحساس بالخطر يحشد فيه قوة غير عادية لا يمكن أن يحصل عليه في حالة الاطمئنان"، فالآية تشر إلى الحالة التي تمتلك الإنسان عندما تثور فيه غريزة حب البقاء فيلوذ بالفرار، ويزداد إحساس القارئ بعمقها في ضوء علم النفس^(٢).

ألقى الله عليهم الهيبة أو المهابة والوقار، فلو شاهدتهم إنسان أشرف على الهرب منهم، وامتلاً عليه خوفاً ورعباً منهم، قال ابن عطية: "والصحيح في أمرهم أن الله ﷻ حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها؛ لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية، فلم يبدل لهم ثوباً، ولم تُغير صفة، ولم ينكر الناهض إلى المدينة إلا معالم الأرض والبناء، ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه أهم"^(٣)، ويقول الشيخ الشعراوي: "فقد ألقى الله مهابتهم والخوف منهم في نفوس الناس، فإذا ما اطلع عليهم إنسان خاف، وولى هارباً يملؤه الرعب؛ لأن هيبتهم توحى بذلك: حيث يتقلبون يميناً وشمالاً ومع ذلك لا يصحو منهم أحد، ولا يقوم منهم أحد طوال هذه المدة"^(٤).

(١) سيكولوجية القصة في القرآن، تهامي نقرة، ص ٤٦٨.

(٢) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، تهامي نقرة، ص ٢٧٠.

(٣) تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، ص ٢٣٣.

(٤) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ٥٠٩/١٤.

ورد النابلسي أنّ حالة الخوف والفرع منهم إلى حالتهم التي كانوا عليها فقال: "قال بعض العلماء: إنّ حالة الإنسان النفسية تنتقل للأخرين، فهو لاء حينما أوا إلى الكهف كانوا في حالة رعب، وفرع شديد، فكل من اطلع عليهم امتلاً قلبه رعباً منهم وولى منهم فراراً"^(١).

فالصورة وما يكتنفها من فعل الحركة يجعل المشهد مرعباً، يحمل في طياته شحنات هائلة من التأثير المخيف الذي يلحق بالرائي، مما يدفعه للفرار مباشرة، لو قدر له الاطلاع عليهم، بل إنّ الرعب يتجاوز أبنيته اللغوية المعجمية المألوفة إلى حالة استعارية تعكس امتلاء الذات به، وهي وسيلة سردية تشي بمشغولية النفس بأكملها بالرعب وليس القلب وحده^(٢).

الخلاصة: لقد أشارت الآية من خلال ألفاظها إلى دلالة زمنية لما سيقع على في نفس كل من يطلع على الفتية من خوف ورعب وما سيكون من ردة فعل لهذه النفس الإنسانية من فرار وهروب، فهذه الآية تصور لنا مشهد الرعب الذي يمتلك النفس الإنسانية، فهي تخاطب كل نفس إنسانية لتعتبر منهم عبر العصور والأزمان.

سادساً: لقد برع القرآن في الإعجاز الزمني والتعبير عن النفس الإنسانية والمشاعر التي تنتاب الإنسان في حالة الخوف والحذر فيقول تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩]، الفتية يتناجون حذرين خائفين، غافلين ما دار وما يدور حولهم، ويجهلون حقيقة الزمن وعجلته التي دارت بهم، وأنّ أجيالاً تعاقبت عليهم لم يعد لهم وجود، الفتية حذرين من كشف أمرهم يخشون على دينهم وخائفين أن يقتلوا رجماً أو يفتتوا في دينهم من التعذيب^(٣). "وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن أو في التخفي حتى لا يعرف ولا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور بهم"^(٤).

(١) موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، تفسير سورة الكهف، النابلسي، ص ٤٧.

(٢) جماليات بنية السرد ومستوياته في قصص سورة الكهف، موسى إبراهيم أبو دقة، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مجلد ٢ عدد ٣، ٢٠٠٦م ص ١١٩.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص ٢٢٦٤ بتصرف.

(٤) حاشية محيي الدين شيخ زاده، محمد بن مصلح الحنفي ٤٦٠/٥.

لم يفت على الفتية أن يكونوا حذرين حرصين على عدم كشف أمرهم، فيتوجب على من سيذهب إلى المدينة أن يدخلها خلسة، وأن يتلطف في الأمر، ولا يشعر به أحد من القوم، فالفتية ما زالوا يظنون أن القوم يتتبعهم للقضاء عليهم، وهذا الاحتياط إنما كان لأمر الدين، وحماية للعقيدة التي فروا بها وقد علل القرآن ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠]^(١).

خلاصة القول:

أن الألفاظ صورت مشهد غاية في الإعجاز النفسي وإيحاءً بالحالة النفسية التي كان عليها الفتية، إذ كشفت عن خوف وحذر الفتية من كشف أمرهم، وهذا الخوف لم يكن على أنفسهم فحسب بل كان على الدين والعقيدة السليمة وما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠]، فالألفاظ صورت العواطف والانفعالات وقدمت لنا صورة حية عن الزمن النفسي للفتية حال استيقاظهم، وثباتهم على الحق والدين والتحرز من القوم خشية على دينهم وعقيدتهم.

(١) انظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ٥١٢/١٤ بتصرف.

الخاتمة

وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحثان:

- ١- أن القصة القرآنية ما هي إلا معجزة إلهية لعرض الأحداث الماضية لا علم سبيل المحاكاة، ولا على سبيل المشاهد والشخص، وإنما هو عبارة عن اللوقوف على العبر والمواعظ، بالإضافة إلى تسلية الرسول ﷺ، وتثبيت فؤاده، مع بعده عن الخيال؛ لأن القرآن صدقٌ كله، وذلك أنه واسطة تبليغية للوحي السماوي لتجديد العقيدة، وترسيخ نظام حياة متكاملة، وتغيير ما في النفس البشرية من جهالة وعبودية لغير الله.
- ٢- امتاز القصص القرآني في عرضه للتاريخ، وتصويره لأحداث الأمم السابقة بمنهج خاص، فنجده عند ذكر قصة من الزمن الماضي لا يعتمد إلى ذكر السنة التي بدأت فيها أحداث هذه القصة، كما أنه لا يعتمد إلى ذكر السنة التي انتهت فيها أحداث هذه القصة، ومرد ذلك أن ذكر الزمن الذي وقعت فيه القصة لا يضيف إلى مغزاها شيئاً، وهذا لا يعني أن زمن القصة في القرآن ليس له قيمة، فالقرآن أعطى للزمن قيمة عظيمة، وحرص على التصريح بكل جزئية منه إذا كانت هذه الجزئية تضيء بظلال المعرفة والعظة على القصة.
- ٣- تجاوزت قصة أصحاب الكهف الزمن التاريخي المؤلف لدى القارئ إلى الزمن الكوني والنفسي، وجمعت بين الإعجاز الزمني الكوني والنفسي وبين الإعجاز الروحي.
- ٤- لقد تجلّى الإعجاز الزمني الكوني في قصة أصحاب الكهف في مواضع عدة، حيث كان للزمن الكوني حضوره البارز، وكان في تحديده من تدبير خالق الكون، إذ إنَّ عنصر الزمن فعال، له وزنه وإيقاعه في القصة القرآنية بشكل عام، فهو لم يكن حشواً، أو زيادة، وإنما يحمل في طياته دلالات لا تُكشف إلا لذوي البصيرة، والزمن الكوني، هو إيقاع الزمن في الطبيعة ويتميز بخاصية التكرار واللامتناهية.
- ٥- أنَّ الخوف الذي تسلل لقلب الفتية عبر أحداث القصة قد كشف عن البعد الزمني لأحداث القصة، كما كشف عن اللحظات العصبية التي مر فيها الفتية عبر رحلتهم، وقد جاء الخوف متمثلاً في مرحلتين، أولهما: الخوف الذي انتابهم خروجهم من القرية، وثانيهما: الخوف الذي انتابهم بعد استيقاظهم من النوم فقد كانت لحظات

قاسية جداً، ثقيلة على النفس تعبيراً عما يعانوه من الخوف، ومع كلا الحالتين كان الدعم الإلهي مرافقاً لهم.

٦- أن الزمن الخارق هو الذي أضفى على قصة أصحاب الكهف البعد الإعجازي؛ لتتحول القصة إلى معجزة، مما يدفع القارئ إلى البحث والتقصي لتحديد الزمن في ثنايا القصة وألفاظها، فيكتشف محدودية العنصر البشري في التصرف، بل تؤكد عجزه أمام القدرة الإلهية المسيطرة والمتصرفة في الزمن الكوني.

٧- تجلت قدرة الله في ربط زمن الحدث بمكان الحدث، والذي كشف عنه قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ إِلَيْهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ [الكهف: ١٧]، كما كشف عن الكرامة الإلهية الخارقة للعادة في طلوع الشمس ومغيبها، واتجاه فتحة الكهف الذي هو اتجاه قبلة أهل القرية، الذين هم أهل [الرقيم].

٨- وجوب اللجوء إلى الله ومنجاته في السراء والضراء، فهو ينجي المؤمن ويغيثه في أصعب الأمور، فإله لا يرد كف السائل، بل يؤيده ويحفظه، وقد تجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿فَأُوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦].

٩- دور الشباب في تغيير الأمم، فيضحون من أجل الدعوة بأنفسهم وبكل غالٍ ونفيس في سبيل حفظ الدين والعقيدة، بالإضافة إلى أهمية النزوح عن أهل الفتن والانعزال حتى لا يصاب بالتضليل وتزعزع في العقيدة، وأخذ الحيطة والحذر والتفكير قبل الإقدام على أي تصرف قد يؤدي إلى الفتنة في الدين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- ١- الأدب والأنواع الأدبية، ترجمه عن الفرنسية: طاهر حجار، قدم له: محمود الربداوي، ط/١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٥م.
- ٢- الأدب وفنونه دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل، ط/٩، دار الفكر العربي-القاهرة، ٢٠١٣م.
- ٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي-بيروت لبنان.
- ٤- أركان القصة، فوستر، ترجمة كمال عياد جاد وحسن محمود، دار الكرنيك-القاهرة، ١٩٦٠م.
- ٥- أسلوب السرد القصصي في القرآن، محمد الطويل، أطروحة جامعية لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، المعهد الوطني للغة والأدب العربي، تلسمان، ١٩٨٨م.
- ٦- إشكالية الزمن في القصص القرآني، رسالة دكتوراه في النقد والأدب، بن زهبيبة لطروش، جامعة جيلالي الياس-سيدي بلعباس-كلية اللغات والآداب والفنون-قسم اللغة العربية-الجزائر، ٢٠١٦-٢٠١٧م.
- ٧- أصول في التفسير، محمد صالح العثيمين، ط/١، المكتبة الإسلامية-عين شمس الشرقية، ٢٠٠١م.
- ٨- الإعجاز العلمي في القرآن، السيد الجميلي، ط/٢، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر ودار الوسام للطباعة والنشر-بيروت-لبنان، ١٩٩٢م.
- ٩- إعجاز القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس، سناء فضل عباس، عمان، ١٩٩١م.
- ١٠- الإعجاز القصصي في القرآن الكريم، سعيد عطية مطاوع، ط١، دار الآفاق العربية-القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ١١- الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، محمود السيد حسن، بدون.
- ١٢- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين عبد الحميد الدرويشي، ط١١، دار ابن كثير-دمشق-بيروت، دار اليمامة-دمشق-بيروت، ٢٠١١م.

- ١٣- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، وبهامشه: نهر الخير على أيسر التفاسير، أبو بكر جابر الجزائري، ط/٣، راسو للدعاية والإعلان-جدة، ١٩٩٠م.
- ١٤- إيضاح الوقف والابتداء، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (٣٢٨هـ-)، المحقق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧١م.
- ١٥- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (-٧٤٥هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط/٣، دار الكتب العلمية-لبنان، ٢٠١٠م.
- ١٦- بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية محفوظ، سيزا قاسم، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، إيداع المرأة، ٢٠٠٤م.
- ١٧- بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، ط/١، المركز الثقافي العربي-بيروت، ١٩٩٠م.
- ١٨- التحرير والتنوير، الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، السداد التونسية للنشر-تونس، ١٩٨٤م.
- ١٩- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٢٠- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ-)، دار الحديث - القاهرة.
- ٢١- تفسير السور الكريمة (سورة الكهف ومريم ويس)، محمد علي الصابوني، ط ٤٠١٤ - ١.
- ٢٢- تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (٧٠٠-٧٧٤هـ-)، تحقيق، سامي بن محمد السلامة، ط/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع-السعودية، ١٩٩٩م.
- ٢٣- تفسير القرآن بالقرآن في أضواء البيان، الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، إعداد: سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ط/١، دار الفضيلة-السعودية، دار الهدي النبوي-مصر، ٢٠٠٥م.
- ٢٤- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.

- ٢٥- الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: مجدي محمد سرور سعد باسلوم، ط/١، دار البيان العربي-خلف جامع الأزهر، وشركة القدس للتصدير-القاهرة، ٢٠٠٨م.
- ٢٦- جماليات بنية السرد ومستوياته في قصص سورة الكهف، موسى إبراهيم أبو دقة، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مجلد ٢ عدد ٣، ٢٠٠٦م.
- ٢٧- جمالية القصة القرآنية، قصة أصحاب الكهف أتمودجاً، بان حميد فرقان، مجلة كلية الآداب العدد، ١٠١، ص ١٢.
- ٢٨- حاشية محيي الدين شيخ زاده، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي، على تفسير القاضي البيضاوي، ضبطه: محمد عبد القادر شاهين، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت لبنان، ١٩٩٩م.
- ٢٩- حدس اللحظة، فاستون بشلار، تعريب: رضا عزوز وعبد العزيز زمزم، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية-العراق-بغداد.
- ٣٠- خواطر الشعراوي، محمد متولي الشعراوي.
- ٣١- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/١، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية الإسلامية، ٢٠٠٣م.
- ٣٢- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت.
- ٣٣- دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية، سيمان الطراونة، ط/١ عمان-الأردن، ١٩٩٢م.
- ٣٤- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، أبو الفضل الألويسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤.
- ٣٥- سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقرة، ط/١، الشركة التونسية-تونس، ١٩٧٤م.
- ٣٦- شرح رسالة بيان إعجاز القرآن، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد إبراهيم الخطابي، عمر محمد عمر باحاذق، ط/١، دار المأمون للتراث-دمشق-بيروت، ١٩٩٥م.

- ٣٧- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله، دار إحياء التراث العربي، دار ابن كثير - دمشق بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٣٨- صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٣٩- صفوة التفاسير: تفسير القرآن الكريم، جامع بين المأثور والمعقول، مستمد من أوفق كتب التفاسير (الطبري، الكشاف، القرطبي، الأوسى، ابن كثير، البحر المحيط) وغيرها، بأسلوب ميسر، تأليف: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم - بيروت، ط٢، ١٩٨١م.
- ٤٠- علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، عدنان محمد زرزور، المكتب الإسلامي، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٤١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩، لرقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٤٢- فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية- بيروت.
- ٤٣- فن القصة، محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر-بيروت، ١٩٥٥م.
- ٤٤- الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد خلف الله، شرح وتعليق: خليل عبد الكريم، ط/٤، سينا للنشر-الانتشار العربي-لندن-بيروت-القاهرة، ١٩٩٩م.
- ٤٥- في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، القاهرة.
- ٤٦- في ظلال القرآن بقلم سيد قطب، طبعة جديدة ومنقحة، ط٣٢، دار الشروق ٢٠٠٣م.
- ٤٧- قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ط/٣، دار النفائس-الأردن، ٢٠١٠م.
- ٤٨- قصص القرآن دروس وعبر، سعد يوسف أبو عزيز، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٤٩- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، عبد الكريم الخطيب، ط٢، دار المعرفة للنشر-بيروت-لبنان، ١٩٧٥م.

- ٥٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (-٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، ط٥، دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٠٠٩م.
- ٥١- لسان العرب، لابن منظور، تحقيق: ياسر سليمان أبو شادي، ومجدي فتحي السيد، دار التوقيفية للتراث-القاهرة، ٢٠٠٩م.
- ٥٢- مباحث في إعجاز القرآن، أ. د: مصطفى مسلم، ط/٢، دار المسلم للطباعة والنشر-الرياض، ١٩٩٦م.
- ٥٣- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار الفكر العربي.
- ٥٤- مجلة كنوز الفرقان؛ العددان: (الخامس والسادس)؛ السنة: (الرابعة)، جمادى الأولى والآخرة ١٣٧١هـ.
- ٥٥- مدراك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي- ٧٠١هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز، دون سنة أو بلد.
- ٥٦- المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٥٧- مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.
- ٥٨- معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٥٩- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عملعالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٦٠- المعجم المفصل في اللغة والأدب، إيميل يعقوب، زميشال عاصي، ط/١، دار الكتب العلم للملايين-بيروت-لبنان، ١٩٨٧م،

- ٦١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/
حامد عبد القادر/ محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.
- ٦٢- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس زكريا (-٣٩٥هـ)، تحقيق:
عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر.
- ٦٣- معنى الطوال والمثاني والمفصل والمئين، الشيخ إسماعيل الشرقاوي، موقع
alukah
- ٦٤- مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء
الدين عمر المشتهر بخطيب الري، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٨١م.
- ٦٥- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٢،
دار القلم الشامية - بيروت، ١٩٩٧م.
- ٦٦- موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، محمد راتب النابلسي، بدون.
- ٦٧- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، ط/٤، دار الشروق-
القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ٦٨- نظرات في الكون والقرآن، عبد الهادي ناصر، ط/١، المكتبة الأكاديمية-القاهرة،
١٩٩٥م.